خواطر عن القراءة والكتب



بقلم: رئيس التحرير

تعـويد الأفراد عادة القراءة وحب الاطلاع من المسائل الهامه التى تعنى بها الأمم الآخـذة بالنظام الديمقراطى ، وذلك لأن الحكم فى الأمم الديموقراطية الحقه يقوم على اشراك جميع أفراد الأمة فى احتمال تبعاته وتوجيه سياسة الدولة ، ولن يتم ذلك على وجهه الصحيح الا اذا كان هؤلاء الأفراد جديرين بهذه المشـاركة ، ملمين بحقيقة الاحوال ، ولهم خبرة واسعة ، ومعرفة مستفيضة ، ولن يتيسر لهم ذلك الا اذا أوتوا بسطة فى العلم ، واحاطة بأطراف المسائل تمكنهم من ابداء الرأى الصحيح ، وتقدير وجهة النظر الصائبة ، والسبيل الوحيد لذلك هو موالاة الاطلاع ، والقـدرة على الاحاطة بمختلف الموضـوعات سـياسية كانت أو اقتصادية أو علمية أو أدبية أو اجتماعية ٠

ومن أجل ذلك تعنى الأمم الديموقراطيـة المتقدمة بتعميم عادة القراءة وتوسيع نطاقها عن طريق الاستكثار من المكتبـات وترغيب أفراد الأمة فى الاطلاع وتيسيره لهم ، وتقريب أسبابه للجميع ، وتبدأ هذه العملية منذ تنشئة الفرد فى دور الطفولة حتى يكتسب عادة القراءة وينشأ ميالا بطبيعته الى موالاة الاطلاع والاستزادة من المعرفة والاستنارة ٠

وكلما اتسع نطاق التعليم وتكاثرت المدارس والجامعات على اختلاف أنواعها اشتد الاقبـال بطبيعة الحال على القراءة وذاعت الكتب والصحف والمجلات ، ومن الفروق الملحوظة بين العصـور التى يسود فيها النظام الارستقراطى والعصور التى تسود فيها الديموقراطية مسألة تيسـير المعرفة والعناية بهـا ، فالنظام الأرستقراطى فى جوهره يتجـه عادة الى حصر المعرفة فى طبقة خاصة ، أما النظـام الديمقراطى فانه يرمى الى مشاركة طبقات الأمة جميعها فى المعرفـة ، لأن المعرفة قوة ومن الخطر حصر هذه القوة فى حيازة طبقة خاصة ، وكانت الطبقة الارسـتقراطية تستأثر بالحكم ، وتنفرد به ، فلم يكن هناك موجب فى زعمها لتثقيف أفراد الشعب ورفع مستواهم الفـكرى ٠

ومن أقوال الناقد هازلت ان أعظم متعـة فى الحياة هى متعة القراءة والاطلاع ، والقراءة عند هازلت وأمثاله من الولوعين بها ليست واجبـا مفروضا ، ولاتكليفاً مملا ، وانما هى نزهة جميلة ورياضة مستحبة ، والكتـاب باب يفضى الى الفردوس الذى لايسمع فيـه لغو ولاسخف اذا أحسن اختياره ، وقدرت قيمته ٠

ويختلف موقف النـاس من القراءة ، فمنهم من يرون فى القراءة سبيلا لقتـل الوقت ودفع الملل، ومنهم من يرى فيها طريقا لتكوين الشخصية، وبناء الأخلاق ، وتقوية التفكير ، على أن الفـرد قد يقرأ للاستفادة وتحصيل المعلومات ، وقد يقرأ للتسامى والتحليق فى الأجواء العالية والاقتراب من ذوى العقول الراجحة ، ومهما أوتى الانسـان من القدرة على التحصيل فان صقل جانب كبـير من تفكيره ، وتوطيد ثقافته ، واستكمال عناصر شخصـيته متوقف على نوع الكتب التى يقرؤها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولانزاع فى أن الكتب المتهافتة التأليف تنهب الوقت الذى كان يحسن ان يقضى فى أغراض أنبل وأشياء أنفع ٠

وكلما تكاثرت الكتب والمؤلفات فى موضوعات شتى أصبح اختيار ما نقرأ أصعب وأعقد ، وأصبحت القدرة على التمييز والمفاضلة أخطر والزم ، وكلما ازدادت الكتب زيادة مطردة ازدادت معها صعوبة الاختيار ، والواقع أن صعوبة اختيار الكتب التى يقرؤها الانسان ويخصها بعنايته وتقديره مسألة قديمة واجهت الانسان قبل عهد الطباعة ، وطالما رددت الناس أن الكتب كثيرة فماذا نصنع وكيف نختار ؟



ولا نزاع فى أن الكتب كثيرة ومتفاوتة القيمة، ولكن مما يهون مشكلة الاختيار ان الكتب القيمة الممتازة الجديرة بالعناية والدرس دائما قليلة ، وفى بعض الأحيان تكون نادرة ، وحتى فى هذا العصر الذى كثر فيه فى أنحاء العالم تدفق الكتب فى مختلف الموضوعات واعادة طبع الكتب القديمة فان الكتب الممتازة الجيدة ليست بالكثرة الرهيبة التى تروع وتهول ، وسائر الكتب العادية لا صعوبة فى الاختيار بينها لأن القارىء الذى يعنى بها انما يقصد تزجية الوقت ، والذى يقصد أن يتسلى بقراءة قصة غرامية أو رواية بوليسية سيقنع بما يصادفه ويقع فى يده ، ولايطيل التدقيق فى المراجعة والاختيار لأن غرضه قتل الوقت لا الفائدة ، وأمثال هذه الكتب يلتهمها الناس كما يلتهم الأطفال الحلوى، وليس هذا اللون من ألوان القراءة من قبيل المتعة التى تسمو بالنفس وتغذو القلب ٠

وكثير من الناس يقرءون ، وتتناول قراءتهم موضوعات منوعة ، ولكن القليلين هم الذين يحسنون فن القراءة ، ولعل السبب فى ذلك أن أكثر من يقرءون يشرعون فى قراءة الكتب وفى ادمغتهم فكرة سابقة عما يجب أن يكون عليه الكتاب ، فاذا اتجه المؤلف اتجاها يخالف مارسموه له مقدما ونهج نهجا آخر ضاقوا به ذرعا ، وأبوا متابعته أو تابعوه فى شىء من التكلف والتحامل ، واقبالنا على قراءة كتاب من الكتب ونحن نحمل معيارا خاصا قد يمنعنا من أن نضع أنفسنا موضع المؤلف ، ولذلك قد تغيب عنا وجهة نظره ونسىء فهمه ، والكاتب مثل المتحدث فاننا لا نفهم وجهة نظر محدثنا الا اذا أصغينا اليه وأعطيناه الفرصة ليقول ماعنده ويوضح رأيه دون أن نعترضه أو نثيره، وأكثر الناس لا يصبرون على الكتاب ولايصابرون ، والقراءة الصحيحة فى رأيى تحتاج الى كثير من الموضوعية أو التجرد الى حد كبير من الاهواء والميول والنزعات ، وهو أمر ليس بالسهل ، ولكنه فيما أقدر السبيل الوحيد للحكم الصادق على مانقرأ ، ولابد لذلك من رياضة وتدريب ومران لأن مطاوعة الأهواء أغلب والتأثر بالأحكام السابقة شديد الاستيلاء على النفوس ، وفى عصور النزعات السياسية الغلابة والاعتقادات السائدة تصبح الحاجة الى ذلك أمس لتتسع آفاق التفكير وتكثر وجهات النظر ويتجنب خطر الضيق والتعصب والتحزب ٠

وعالم الكتب فى العصر الحاضر بوجه خاص حافل زاخر ، ففى كل منحى من مناحى المعرفة وفى كل مادة من مواد العلوم وفرع من فروعها مؤلفات جليلة الشأن عظيمة النفع ، ملأى بطريف المعلومات ومستحدث الآراء وناضج البحوث وقيم الفصول ، ولكى يساير الانسان عصره ويرتفع الى مستواه ويتعرض تياراته الفكرية واتجاهاته الثقافية لا محيص له عن الامعان فى الاطلاع وادامة التلفت الى الآفاق الجديدة والكشوف والابتكارات المستحدثة ٠

وظواهر الحال تدل على أن أقل تواكل وأيسر اهمال فى تتبع هذه الحركات مما يجعل الانسان متخلفا عن عصره عائشا فى غير زمنه ، فسعة

الاطلاع والالمام بمختلف الثقافات من مستلزمات هذا العصر وأوجب واجباته ·

ولكن ادمان القراءة ومتابعة الاطلاع واطالة المكث بين الكتب قد تكون عقبة فى سبيل التفكير الحر المستقل ، وقد ترهق الذهن وتضعفه وتشل حركته وتقضى على استقلاله ويصبح بذلك ضررها أكثر وأخطر من نفعها ·

والحقائق والمعلومات التى نتلقاها من الكتب قد تثقل رؤوسنا وتزحمها وتشيع فيها الفوضى والاضطراب ، والرجل الذى يقرأ كثيرا تلتقى فى عقله ضروب مختلفة من الأفكار والآراء وقد تظل هذه الأفكار والآراء غرائب وضرائر لاتربطها بعضها ببعض رابطة ولاتوحدها جامعة ولاينظمها سلك ·

والانسان فى أثناء القراءة يترك لغيره التفكير ويصاحبه وقد ينساق معه ويندفع فى تياره ويستأسر له ويستعبد لأفكاره ، وهذا هو خطر القراءة التى لايصحبها التفكير ولاتتلوها المراجعة وارسال النظر فيما قرأه الانسان ، وتقليبه على جوانبه لتتبين فيه الطيب من الخبيث والصالح من الفاسد ·

واذا غفلت الفكرة الناقدة وضعفت قوة التمييز اطمأن العقل الى الخضوع والاستسلام، وتقبل الآراء المتناقضة ، والمعلومات الزائفة ، وعجز عن التوفيق بين الآراء المختلفة ، وتوحيدها والملاءمة بينها ، وضل فى تيهها ، وأفلت من يده زمامها ، وعجز عن السيطرة عليها وتسخيرها والافادة منها ، والعقل الذى يضل طريقه ،وتثقله معلوماته ، تجد صعوبة كبيرة فى تحديد غايته، واذا عرف غايته وهدفه عجز عن بلوغهما ، ولذا قد ترى فى بعض مدمنى القراءة تهافتا فى المنطق، وانحرافا فى الآراء ، وسخفا فى التفكير ، لانرى له نظيرا فى العامة أو أشباه العامة من أصحاب المعرفة القليلة ، والذين يعيشون فى آفاق جد محصورة قد يحسنون الاستفادة من التجارب ، ويفطنون لعبر الحوادث واحتكاكهم بأهل الرأى والراسخين فى العلم فتصقل عقولهم وترقى مداركهم ، وقلة العلم يمكن اصلاحها والاضافة اليها والمحافظة عليها فينمو العلم ، والعلم الكثير مثل المال الكثير قد يغرى بالاهمال والتطبيع ويساء الانتفاع به ·

ولا خير فى الاطلاع وادمان القراءة اذا لم يصحبهما التفكير المستقل الحر وحقيقة ان المشتغل بالمسائل العلمية والأدبية فى حاجة ماسة الى اطلاع واسع وقراءة منوعة ، ولكنه مع ذلك اذا لم يستطع عقله السيطرة على ما يقرأ واجادة هضمه واعتصاره والانتفاع به واستثماره واضافته الى محصوله الخاص وطبعه بطابعه كانت القراءة من أسباب التقصير ودواعى التخلف لامن حوافز السبق والتبريز والتقدم ·

◎ ◎ ◎

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين

تأليف : خيرى حماد

الناشر : الدار القومية

٤٥٠ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ٤٠ قرشا

دخل العمل العربى فى قضية فلسطين مرحلة تاريخية جديدة منذ نهاية العام الماضى . وذلك حين وجه الرئيس جمال عبد الناصر دعوته القومية من بورسعيد ، فى الاحتفال بعيد النصر السابع ، للثالث والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) لعام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين .

لقد دعا الرئيس العربى الى التعاون بين الدول العربية ، مواجهة للخطر الاستعمارى الصهيونى الجديد ، ممثلا فى تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن . وأكد الرئيس فى هذا المقام أن اعتبار العلاقات الرسمية ، وما يشوبها من ظلال نتيجة محتومة للتطور العام الشامل فى الحياة العربية ، انما هو أمر عرضى ، ينبغى أن يتلاشى فى لحظات الحسم المصيرى ، وأمام واجب التعاون فى درء الأخطار العدوانية التى تتهدد العرب جميعا على سواء ، وفى كفالة المصالح العليا المشتركة لأقسام وطننا الكبير جميعا . كما أوضح أن الهدف يجب أن يكون وضع خطة صريحة حاسمة ، ترتفع الى مستوى المسئولية وتبعاتها الضخمة . وفى سبيل هذا الهدف القومى السامى يجب أن يجتمع رؤساء الدول العربية : ملوكا ورؤساء جمهوريات ، فى نطاق جامعة الدول العربية ، لوضع الخطة القومية فى معالجة قضية فلسطين . والجمهورية العربية المتحدة على استعداد لتوفير الجو الصالح لنجاح هذا المؤتمر الكبير ، كما أنها تفتح بهذه الدعوة صفحة جديدة فى العلاقات العربية ، وتضرب صفحا عن الماضى بآلامه وأوزاره . وهى فى ذلك تشعر أن هذا الموقف من واجباتها ، المتكافئة مع مسئولياتها فى معركة المصير العربى ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنعشت هذه الدعوة آمال أمتنا ، وتخطت بحكمتها وقوتها جميع السدود والعقبات ، وبطلت أمامها المؤامرات الاعلامية والسياسية المتشابكة، التى دبرها الاستعمار والصهيونية ، والدسائس التى بذراها فى الميدان العربى والصعيد الدولى ، للحيلولة دون نجاح الدعوة ، ولتلافى الاجتماع الكبير ...

ولازلت أذكر بالسعادة كيف كانت المهمة ميسرة لى ، حين سعيت الى السفراء العرب بالقاهرة ، أحمل دعوة القومية ، وكيف وجدت التقبل الرائع من الحكومات ورؤساء الدول العربية ، رغم ما كان يخيم على جو العرب من سحب الخلاف ، ويدب بينهم من عوامل الشقاق .

وهكذا أمكن الحصول على موافقة الملوك

والرؤساء العرب فى مدى أربعة أيام فقط : موافقتهم الاجماعية على حضور المؤتمر ، وعلى تحديد موعده فى الثالث عشر من يناير (كانون الثانى) لعام ألف وتسعمائة وأربعة وستين ...

وتلك روح جديدة ، لم تشهدها الجامعة العربية قبلا ، فى توجيه الدعوات وفى تقبلها ، بالنسبة لاجتماع عادى على مستوى السفراء فقط، فما بالك باجتماع تاريخى غير مسبوق النظير ، يضم رؤساء الدول ذاتهم بمسئولياتهم وظروف أعمالهم ، ويعالج قضية العرب الأولى فى فلسطين، ويواجه المطامع الاستعمارية الصهيونية المتحالفة فى اسرائيل ، والقوى الدولية التى تشد أزر القلعة العدوانية القائمة فى قلب وطننا الكبير ، سلبا لحقوق شعب عربى مقدسة ، وكفالة للاستغلال والسيطرة الأجنبية غير المشروعة على مقدراتنا وطاقاتنا البشرية والطبيعية الضخمة ، وتهديدا لأمن أمتنا وتقدمها وقوتها ووحدتها ؟ !

واجتمع مؤتمر القمة العربى الأول فى الموعد المحدد له ، يضم ملوك العرب ورؤساء جمهورياتهم من المحيط الى الخليج •

وأسفرت مقررات الملوك والرؤساء ، المتخذة فى السابع عشر من يناير الماضى ، عن وضع مخطط عربى مفصل متكامل لتحرير فلسطين ، ودفع الأخطار العدوانية الصهيونية الممثلة أخيرا فى تحويل مياه نهر الأردن ، والمحاولة الاسرائيلية الجريئة لحرمان العرب من حق الانتفاع بمياههم التاريخية ، واثقال حركة التقدم العربى الصاعد بأعباء جديدة من الحرمان ••

وقامت الخطة العربية على تهيئة الجو للعمل العربى المشترك الفعال ، بتصفية الخلافات العربية ، وبتوحيد القيادة العسكرية والأسلوب السياسى ، وبناء الوحدة الاقتصادية ، وتنسيق المخطط الاعلامى العربى ، وتنفيذ المشروعات الفنية التى تمكن العرب من الاستعمار فى الانتفاع بمياههم وتنمية هذا الانتفاع ، واحباط أهداف العمل الاسرائيلى العدوانى الجديد ، وابراز الكيان الفلسطينى قوة تحمل مسئولياتها القومية والدولية فى حركة التحرير الفلسطينى ...

واضطرب المعسكر الصهيونى واضطر الى تبديل سياسته •

فقد كانت سياسة اسرائيل ، قبل مؤتمر القمة العربى ، تقوم على التحدى ، والاستثارة للعرب ، والانكار المتصل لحقوق الفلسطينيين فى وطنهم السليب ، والادعاء بأن لدى اسرائيل من القوة ما يمكنها من تنفيذ مشروعها العدوانى على المياه العربية •

فلما دخل النضال القومى العربى ضد الصهيونية الاستعمارية مرحلته الجديدة ، وظهرت روعة الدبلوماسية العربية الجماعية حين أخذ كل رئيس دولة أو وزير عربى يتحدث باسم الدول العربية جمعاء — ركزت اسرائيل دعايتها المضللة فى أنها لن تأخذ من المياه أكثر من القدر الذى يجرى فى أراضيها ، وأنها تطلب السلام والتعاون ، وتنادى بتجريد منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة وتحييدها ، والتمست من الدول الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية الحماية لسلامتها •

وتناست اسرائيل وجودها الاستعمارى وأعمالها العدوانية المتصلة ، وتحديها ، وتنكرها لقرارات الأمم المتحدة ، وأن مشروعها بتحويل مياه الأردن يحرم العرب من مياههم النابعة والجارية فى أراضيهم ، وأن السلام لايمكن أن يستقر الا على العدل وتصفية الاستعمار والعنصرية ، اللذين تمثلهما بوجودها فى قلب العالم العربى ...

هل كانت هذه الدعوة القومية ، الموجهة من الجمهورية العربية المتحدة ، حدثا جديدا فى تاريخ نضالها البطولى منذ الثورة العربية الكبرى فى مصر لعام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين ، وعملها الدائب لاعلاء كلمة العروبة ، ونصرة قضاياها العادلة ، ودعم السلام القائم على العدل؟

وكيف قدر لهذه الدعوة أن تلقى النجاح الباهر ، رغم ما كان يتوقعه المراقبون السياسيون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– وخاصة فى العالم الخارجي – من استحالة اجابتها ؟

وما هى المقدمات والأسباب التى مهدت لنجاحها ؟

وما هو الطور الجديد الذى دخلته الجامعة العربية بمؤتمر القمة ومقرراته ؟

وما هى طبيعة هذه المقررات ودلالاتها ؟

وما هى الخطوات التى تمت فى سبيل تنفيذها وجنى ثمراتها ؟

وما هى آثار هذا المؤتمر فى المجال القومى ، والصعيد الدولى ، وفى اسرائيل والقوى المؤيدة لها ؟

وما هى نتائج نجاح مخططاته الذى تشير اليه جل المقدمات الماثلة أمامنا ؟

وما هى معقبات فشله الذى يجب أن تتضافر جميع الجهود العربية المخلصة لتفاديه ؟ !

هذا طرف من الأفكار التى جالت بذهنى ، والمسائل التى تصورتها ، حين أخذت أتأهب لمطالعة كتاب السيد خيرى حماد الجديد : التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين ..

ولقد عالج المؤلف فى صفحات كتابه الاربعمائة والخمسين قضية فلسطين منذ بدايتها ، حتى مراحلها الأخيرة ، حين تحركت فى مجلس الجامعة العربية فى صيف العام الماضى ، والجهود العربية فى الدورة الأخيرة للأمم المتحدة ، ومؤتمر القمة العربى ، والأعمال التنفيذية لمقرراته فى الميادين السياسية والدفاعية والفنية والاعلامية ،والخطوات التمهيدية لقيام الكيان الفلسطينى ، ومؤتمر القدس فى الثامن والعشرين من مايو الماضى .. ثم ذيل المؤلف الكتاب ببعض الوثائق ..

واذا كان الجهد المشكور للسيد خيرى حماد انما هو فى ميدان الترجمة ، والجمع لما ينشر أو يؤلف فى موضوع أو قضية معينة ، وترتيب ما تناوله الكتاب والسياسيون ، وظهور العاطفة المتدفقة فى تعليقاته – فهذا الطابع أبرز ما يكون فى هذا الكتاب ...

وفى تسعين صفحة من الكتاب تناول المؤلف قضية فلسطين كما تصورها منذ البداية حتى توفى المرحوم أحمد حلمى عبد الباقى فى خريف العام الماضى ، واختيار مجلس الجامعة العربية السيد أحمد الشقيرى ممثلا مؤقتاً لفلسطين لدى المجلس ..

وفى تسعين صفحة أخرى ، أو الى الصفحة الرابعة والثمانين بعد المائة ، تناول المؤلف قضية فلسطين فى الدورة الأخيرة للأمم المتحدة ، وأورد خلاصة وافية لتقرير مدير وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ، وأقوال المندوبين العرب وغيرهم ، والقرار الذى اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة، والمناورات التى سبقته ..

وفى مائة وثمان ستين صفحة أورد تراجم كاملة لنصوص الخطاب القيم الذى القاه السيد / محمود رياض ، رئيس الوفد الدائم للجمهورية العربية المتحدة لدى الدورة الأخيرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، والخطب الجامعة التى ألقاها السيد أحمد الشقيرى رئيس الوفد الفلسطينى لدى هذه الدورة .

وفى خمس عشرة صفحة أورد استنتاجاته وآراءه فى هذه الدورة التى تعتبر خلاصة وافية لما أورده عن قضية فلسطين فى كتابه السابق : قضايانا فى الأمم المتحدة ..

وفى عشرين صفحة تحدث عن مؤتمر القمة العربى ، منذ وجهت الدعوة اليه حتى صدرت قراراته ، واتخذت طريقها التنفيذى فى أجهزة الجامعة العربية المختلفة ..

وبعد أن أورد خلاصة لما دار فى مؤتمر العمال العرب بغزة فى مارس الماضى ، وأقوال خطبائه ومقرراته ، انتقل الى الكيان الفلسطينى . فتحدث عنه فى ثمانى عشرة صفحة تضمنت خلاصة وافية لمشروعى الميثاق الوطنى الفلسطينى ومنظمة

التحرير ، كما وضعهما مندوب فلسطين لـــدى الجامعة وآراء المؤلف فيهما ...

وبعد ذلك ذيلّ الكتاب بأربعين صفحة ، هى ثلاثة عشر من « الملاحق والوثائق » • وجميعها قد تم نشره فى الصحف أو المؤلفات الخاصة بفلسطين من قبل •

وتتضمن هذه الملاحق وعد بلفور ، وخطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ورســالة الرئيس العربى الى الرئيس كنيدى ، والملحق الخاص بفلسطين فى ميثــاق الجامعة العربية ، والفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ الخـــاص بعودة الفلسطينيين الى ديارهم ، وقسما من بروتوكول حكماء صــهيون على علاتهـــا ، ودعوة الرئيس العربى الى مؤتمر القمة ، ومذكرة وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة فى الموضوع ، والبيان الذى أذاعه المؤتمر ، ومشروعى الميثــاق الوطنى الفلسطينى ومنظمة التحرير اللذين وضـــعهما الأستاذ أحمد الشقيرى ، وقرارات مؤتمر اتحاد العمال العرب بغزة ، ورد العمال العرب على عمال أمريكا الذين خدعتهم المزاعم الصهيونية ، ودراسة مقارنة لمشروعات مياه نهر الأردن منقـــولة عن مطبوعات الجامعة العربية •••

وأرى لزاما على – فى موطن التعريف بهذا الكتاب النافع ، الذى يقدم مادة قيمة لشبابنـــا وللمعنيين بدراسة قضية فلسطين – أن أبـــدى ملاحظات قليلة •••

الأولى ، أن المؤلف أدخل مادار فى مجـــلس الجامعة العربية لصيف العام الماضى ، وفى الأمم المتحـــدة للخريف الماضى ، فى باب التطورات الهامة الأخيرة فى قضية فلسطين ، وغلب حديث الماضى على حديث الحاضر •

ولاريب أن مادار فى مجلس الجامعة ذاك كان يمثل نكسة فى العمل العربى لقضية فلسطين ، اذ ظهر اتجاه الى التنصل من التزامات سابقـــة تقدمية فى هذه القضية ، وخاصة بالنسبة للكيان الفلسطينى...كما أن السياسة العربية والأسلوب العربى فى الدورة الأخيرة للأمم المتحدة كانا تكرارا للسياسة وللأســـلوب العربيين فى الدورات السابقة ، وخاصة منذ عام ألف وتسعمائة وستين..

والثانية ، أن المؤلف افتتح كتابه قائلا :

« عادت قضية فلسطين بعد اغفاءة طويلة ، استغرقت خمسة عشر عاما ، الشغل الشـــاغل لدنيا العرب » •

والانصاف يقتضى القول بأن قضية فلسطين، ومأساة المجتمع الدولى المعاصر فيها ، لم تنم قط، وانما ظلت قوة متحركة فعالة ، تخلق وجه الحياة العربية خلقا جديدا ، وتساهم مساهمة فعالة فى نقل أمتنا من القديم الى الجديد ، وتبدل نظمـــا بنظم ، وتثبت وجودها بشتى الطرق فى المجتمعات الدولية ، ويحبط الايمان القومى بها محـــاولات الاستعمار والصهيونية المتصلة لتصفيتها ...

والثالثة ، القول بأن قضية فلسطين هى العقبة الكأداء التى تقف فى طريق تحقيق أهداف الأمة العربية فى التحرر والاشتراكية والوحدة •

وكنت أفضل القول بأنهـــا من المحركات الأساسية للسير فى طريق بلوغ هذه الأهداف ، وأن أدوات الاستعمار والتخلف التى تحـــاول عبثا تعطيل مسيرة أمتنا ، انما تحاول فى الواقع تعطيل العودة الى فلسطين •

والرابعة ، القول بان ســلاح البترول كان عاملا سلبيا فى معركتنا الماضية ، ويجب أن يكون عاملا ايجابيا حاسما فى معركتنا المقبلة » •

والحق أن عامل البترول لم يكن عاملا مؤثرا فى معركة فلسطين الماضية ، ولم يكن حينذاك قوة فعالة فى الصناعة والاقتصاد الغربيين ••• فقد كانت قوته فى هذه السنوات التى أعقبت مأساة فلسطين ، وليس فى الســـنوات التى سبقتها ..

والخامسة ، القول بأنه يرجع السبب الأول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى ضياع فلسطين ، الى الخطأ الجذرى فى المفاهيم، اذ كنا نرى حتى سنوات قليلة أن خصمنا هو اسرائيل وليس الخصم الحقيقى وهو الاستعمار. وذلك أمر تلافته الجزائر حين نازلت الاستعمار الفرنسى لا المستوطنين الأجانب فانتصرت .. فالمؤلف هنا ينسى أن الحركة الكبرى ضد الاستعمار بدأت فى العقد السادس من هذا القرن، وأن ثورة الجزائر نظمت فى عهد الثورة العربية الجديدة ، وفى ظروف وأوضاع تختلف تمام الاختلاف عن الظروف والأوضاع التى أحاطت بقضية فلسطين فى عهد ضياعها ، وأن الاستعمار البريطانى والفرنسى والايطالى والأسبانى كان يسيطر على العالم العربى ويكبله فى عهد المأساة الفلسطينية . وأننا يجب أن نذكر الثورة العربية فى عام اثنين وخمسين ، ومؤتمر باندونج ، والنصر على العدوان الثلاثى فى عام ست وخمسين، حين نذكر النصر الجزائرى ، وأن من المتعين التعمق فى دراسة الأوضاع المختلفة حتى تنتهى الى الرأى السديد الناجح ..

والسادسة ، القول بأن قضية فلسطين ضاعت لأن الجامعة العربية تولتها .... والحق ان الجامعة العربية ليست دولة فوق الدول ، وأنها جامعة الدول العربية ، وأن مافى هذه الدول – أو فى مجموعها – من قوة أو ضعف ينعكس عليها ..

والحق كذلك أن الجامعة العربية – على ما فيها من ضعف فى الماضى – قد حالت دون تصفية قضية فلسطين ، وتصيد الدول العربية واحدة بعد أخرى خضوعا للمحاولات الاستعمارية المتصلة لتوقيع العرب الصلح مع اسرائيل .. وهذا الموقف السلبى الناجح ، هيأ للقوى الثورية التقدمية فى أيامنا هذه أن تعمل بأسلوب جديد لتحرير فلسطين ..

والسابعة ، القول بأن عدم الامداد الكافى بالأسلحة والذخائر للنضال العربى فى فلسطين هو سبب المأساة ...

فالحق أن العرب لم ينهزموا عسكريا فى فلسطين ، وانما هزموا سياسيا بمؤامرات الاستعمار مع أدواته العربية ... وكلنا نذكر التقدم العربى الساحق فى مختلف الميادين لمنتصف عام ثمانية وأربعين ، وان الهدنات والخيانات هى التى أدت الى الهزيمة ، وان العرب لو اجتمعت كلمتهم وطهرت صفوفهم ما استطاعت قوة العصابات الصهيونية أن تهزمهم ..

والثامنة ، الاحصاءات التى تضمنها الكتاب عن البترول العربى ، وحاجتها الى المراجعة والتحقيق ..

والتاسعة ليس للمؤلف يد فيها وهو الاعتماد على ما تنشره الصحف فقط فى الحديث عن مؤتمر القمة العربى ووسائل تنفيذها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه ملاحظات عابرة لاتقلل من نفع الكتاب وفائدته للمكتبة العربية ، نفعا وفائدة يشكر عليهما المؤلف ..

وحق علينا فى هذا المقام ، أن نورد بعض الحقائق التى سجلها المؤلف فى كتابه ، فهى عنوان الروح التى سادته ، والتى يجمل أن نفيض بها افئدة أبناء أمتنا أجمعين ، فى نضالهم المقدس لتحرير فلسطين العربية ، ولكفالة الوحدة والقوة والتقدم لوطننا الكبير .

وخلاصة هذه الحقائق ، هى أن فلسطين قد ضاعت على أرض فلسطين ، وان استعادتها انما تكون على أرض فلسطين ذاتها وبأساليب قوية سليمة ، وأن اسرائيل والصهيونية العالمية ليسا وحدهما أعداء الحق العربى ، بل أن عدوه الأول

هو الاستعمار خالق اسرائيل وراعيها لتحقيق مطامعه غير المشروعة ، وأن معركة فلسطين هى معركة الأمة العربية جمعاء فى وطنها الكبير الممتد من المحيط الى الخليج ، وان كان أبناء فلسطين بحكم الواقع والضرورة هم طليعة التضحية والفداء فى خضمها ، وكانت القوى الثورية والتقدمية هى عدتها المظفرة ، وأن حركة الوحدة والتقدم العربيين هما الدعامة الأولى لتحرير فلسطين ، وأن علينا أن نستخدم جميع الأسلحة التى فى أيدينا لمواجهة الخطر الصهيونى الاستعمارى التوسعى ، وفى مقدمتها سلاح البترول ، وأن الجمهورية العربية المتحدة بفضل طاقاتها وتقدمها، وقيادتها الواعية المؤمنة ، هى قاعدة العمل القومى من أجل فلسطين ، والى جانبها يقف جميع العرب، الرسميين وغير الرسميين ، المؤمنين بالحرية ووحدة النضال العربى ...

أما المرحلة الحالية فى قضية فلسطين خاصة، وفى التطور العربى عامة ، والجواب عن المسائل التى أشرت اليها فى صدر المقال ، فجديرة بالبحث والدرس ، بأسلوب علمى صحيح ، وبالعمل لتعميق المفاهيم العربية الجديدة ، وبمضاعفة الجهود ، تحقيقا للأهداف القومية ، ودرءا للأخطار والمؤامرات الاستعمارية الصهيونية المشتركة ، التى تزداد ضراوتها وتقاتل فى يأس معركتها الأخيرة الخاسرة ، وتحاول بشتى الوسائل تعطيل مسيرة أمتنا المظفرة ..

لكن الحق لابد أن ينتصر ..

والنصر دائما لقوى التقدم والعدم والسلام.

الدكتور سيد نوفل

سطور من كتاب ..

ــ هل تؤمن بالوراثة يا سيد حمودة ؟ .

ــ يعنى ؟ .

ــ لا لا لا لست أقصد وراثة الأرض عن الأب او الجد ، فهذه بينى وبينك لا يجب ان نؤمن بها .

ــ لماذا ؟! .

ــ لماذا ؟ لأن تزويرها سهل ، سهل جدا .. أنا أتكلم عن وراثة أخرى .. وراثة الطباع والخصال والعادات .

الجنة العذراء

فلسفة الحياة العامة

بقلم
والتر ليبمان

ترجمة : عثمان نويه
الناشر
مؤسسة فرانكلين
بالاشتراك مع
مكتبة النهضة المصرية
٢٥٤ ص • قطع متوسط

كانت الديموقراطية كما تولدت عن المبادىء التى تضمنتها الثورات الثلاث ، البريطانية فى القرن السابع عشر ، والأمريكية والفرنسية فى القرن الثامن عشر ، الهدف الذى يسعى الى تحقيقه أصحاب المذهب الليبرالى فى أوربا وفى خارجها، وكان كل نجاح لهذا الهدف تعزيزا للفلسفة السياسية التى تقوم عليها هذه الديموقراطية الغربية ، حتى أن ثورة مارس ١٩١٧ فى الروسيا كانت فى جوهرها سعيا وراء مثل هذا الهدف ، وكاد يخيل للكثيرين أن الديموقراطية نوع من نظام طبيعى أو هى نظام طبيعى •

ثم سارت الأمور فى اتجاه مخالف فانقلبت ثورة مارس الروسية الى ثورة شيوعية ، وانهارت الديموقراطية الايطالية لتعقبها الدكتاتورية الفاشية ، وصعدت النازية على أنقاض جمهورية ويمار فى ألمانيا ، ونشأت أنظمة دكتاتورية بدرجات متفاوتة فى بولندا والمجر ويوغوسلافيا والبرتغال وأسبانيا واليابان • ووقفت الدولتان الديموقراطيتان فى أوربا ، بريطانيا وفرنسا ، تشهدان هذه الأحداث ، وتشهدان النازية والفاشية تتخذان موقفا عدوانيا ، بل واضطرتا الى التسليم لهتلر فى ميونخ ، بينما راحت الديموقراطية الأمريكية تحاول أن تنعم وراء ستار العزلة ، بدا أن الديموقراطية أصبحت تفقد الأرض ، وأخذ دعاتها يحاولون تعرف السبب • هل هى نظام لم يعد صالحا لتطوير الأمم ؟ أم أنها تعانى من أمراض شديدة ؟ وهل هذه الأمراض مما يمكن الشفاء منها أو أنه لا رجاء فى هذا ؟ وللاجابة على هذه الأسئلة وأمثالها وضع والترليبمان كتابه « الفلسفة العامة » الذى بدأ كتابته فى عام ١٩٣٨ ، ثم ألقى بمسوداته جانبا بسبب التطورات الخطيرة فى العالم ، وعاد الى الكتابة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية •
والكتاب دفاع عن الديموقراطية ، وقد أوضح المؤلف غرضه منذ البداية فقال (لعله يحسن بى

قبل أن أمضى فى البحث أن أؤكد أنى أومن بالحرية والديموقراطية ... وأرجو أن تستطاع المحافظة على كل من الحرية والديموقراطية قبل أن تحطم احداهما الأخرى) .

يأخذ المؤلف بعد ذلك فى توضيح ما يعده « علل الدول الديموقراطية » ، فاذا فى مقدمتها أن « صار للجمهور رأى غلاب فى هذا القرن ، وقد أثبت أنه حكم خطر فى أحكامه حين تكون القضية المعروضة قضية حياة أو موت » ، بل ان هذا الجمهور (أو الرأى العام) يجبر الحكومات على ارتكاب الخطأ . « ان سجل التاريخ يشهد بأن الشعب فى الديموقراطيات ، بعد أن تحققت له السيادة فى هذا القرن ، جعل من أصعب الأمور على حكوماته أن تستعد حق الاستعداد للحرب أو للسلم » ، ولاغرابة فى جنوح الرأى العام الى الخطأ « فالقرارات الاستراتيجية والدبلوماسية تحتاج الى نوع من المعرفة ، فضلا عن الخبرة والحكم المتزن » . وازاء هذا نجد الساسة الديموقراطيين وهم فى بحث دائم عن المناصب « محرومين من الاستقلال » لأن عليهم أن يتملقوا الجماهير ، و « طريقهم الى التقدم هو التهدئة والرشوة والاغراء » . ومن هذا كله تتضح علة الديموقراطية فى هذا الاضعاف لقوة الحكومة ، وهذه العلة يمكن أن تكون قاتلة لبقاء الدولة كمجتمع حر .

حقيقة يعتبر اشتراك الشعب فى الحكم من دعائم الديمقراطية ، ولكن يجب على الحكومة أن تكون قادرة على الحكم ، ويجب تمثيل الشعب حتى لايكبت أو يقهر ، وتعتمد سلامة النظام الديموقراطى بخاصة على العلاقة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، فاذا سلبت احدى السلطات شيئا من سلطات الأخرى كان معنى هذا اختلال النظام الدستورى .

كذلك ضعفت سلطة رئيس الحكومة الى حد كاد يصيبها بالعجز من جراء ضغط المجالس النيابية ورأى كتل الجماهير ، وهذا الاضعاف لسلطة الحاكم قد دفع الدول الديموقراطية الى ارتكاب أخطاء تكاد تعد فى مرتبة الكوارث القاتلة ، كما أن المجالس النيابية تحولت فى معظم الدول الديموقراطية من حامية للحقوق المحلية والشخصية الى « مجموعة عظامية مغرورة تهدد أمن الدولة وتخل بالتزاماتها وحرياتها » .

هذا العرض الذى يقدمه والترليبمان يمكن أن نستشف منه مايهدف اليه ، ومايشاركه فيه الكثيرون من المؤمنين بالديموقراطية كما عرفها المجتمع الغربى ، وهو أنه يجب الى جانب تمثيل الشعب واشتراكه فى الحكم ، أن تلتزم كل من السلطتين التنفيذية والتشريعية حدودها ، ويجب أن تكون السلطة التنفيذية من القوة بحيث تتمكن من القيام بواجباتها ازاء المسائل الخطيرة وذلك على ضوء ما تملك من خبرة ومعرفة . فالعلاج اذن هو قيام حكومات قوية قادرة على التصرف مع المحافظة فى الوقت نفسه على العنصر الثانى فى الديموقراطية وهو تمثيل الشعب . ان تحقيق التوازن بين الجانبين هو الهدف الذى يجب العمل على تحقيقه والبحث عن الوسائل المؤدية اليه .

ويتحدث الكاتب عن « الثورات الاستبدادية المضادة » كالثورة الشيوعية السوفييتية والفاشية الايطالية والاشتراكية الوطنية الألمانية وغيرها . فى كل هذه الثورات خصيصتان مشتركتان ، احداهما أن السلطة الحاكمة منفصلة عن جمهرة الناخبين ، والثانية أن السلطة السياسية التى سلبت من الناخبين والأحزاب ورؤساء الأحزاب، تكون فى يد صفوة تتميز من جمهرة الناس بتدريب معين وولاءات معينة . ويرجع المؤلف هذه الثورات وأمثالها الى ما يدعوه «طريقة الثورة اليعقوبية » حيث يستولى الشعب على السلطة عن طريق الاطاحة بالطبقة الحاكمة وتصفية امتيازاتها وسلطاتها ، وهذه هى فكرة الثورة الديموقراطية التى دعا اليها المفكرون الفرنسيون فى القرن الثامن عشر ونفذها حزب اليعاقبة اثناء الثورة الفرنسية . وتطورت هذه النظرية على أيدى ماركس وانجلز اللذين استخدما فى الدعوة الى الثورة الواردة فى البيان الشيوعى الصادر عام ١٨٤٨ ، نفس العبارات التى استخدمها اليعاقبة قبل ذلك . لقد لاحظ الرجلان أن الثورة الفرنسية

لم تخلق المجتمع الكامل وما حل عام ١٨٤٨ حتى ظهر الرأسماليون الطغاة ، وهنا دعوا الى الثورة التالية تقوم بها البروليتاريا والتى سوف تسفر عن مجتمع لاطبقى خال من القهر والضعف ويتمتع فيه الجميع بالحرية • ثم جاء لينين الذى « تخلى عن الوعد الساذج الخلاب بأن النعيم المقيم سيأتى من تلقاء نفسه ببساطة ، نتيجة للعمل الثورى، وأبدل بهذا عقيدة رهيبة تقول بأن النعيم المنشود لايتحقق الا عن طريق عملية طويلة لانهاية لها ، عن طريق ثورة غير محدودة ، تبيد كل المعارضة الظاهرة والكامنة » •

وهنا نسأل : هل لنا أن نفترض سلفا وجود فلسفة للحياة العامة ، هل توجد مجموعة من المبادىء الايجابية والمعتقدات الايجابية لايسع المواطن الصالح أن ينكرها أو يتجاهلها ؟ الجواب على السؤال هو«نعم»عند الكاتب ، لأن الخصائص العقلية للناس يمكن أن تتمخض عن مفهوم مشترك للقانون والنظام يعترف به الجميع ، ومعنى هذا « أن المجتمع الكبير المتعدد العناصر لايمكن حكمه دون الاعتراف بأنه يوجد ، فوق تعدد صوالحه ، نظام عقلى يستهدى بقانون أسمى، مشترك بين الجميع • وهذا القانون المشترك **طبيعى** بمعنى أن كشفه ممكن عن طريق أى منطق عقلى » •

ومن رأى الكاتب أن عملية انقاذ الديموقراطية رهينة بما يدعوه « احياء فلسفة الحياة العامة » لكن ذلك لايكون باثارة الحماسة عن طريق البلاغة للارتفاع بالناس الى مستوى الخطر ، ولا يكون أيضا بالتأسف والأسى على عظمة الماضى وأمجاده ، وانما لابد من ايجاد طريق يعيد ثقة الناس فى سلامة المقاييس العامة ، وبعبارة أخرى يجب « احياء العقائد التى نبعت منها أخلاقنا السياسية » •

هذه الآراء التى يوردها والترليبمان ان هى الا انطباعات نتيجة المشاهدة والتجربة ، فالكتاب لايقدم لنا نظرية معينة كما تفعل كتب الفلسفة السياسية ، ولكنه يسجل مظاهر قائمة ويحاول الكشف عن أسبابها حتى تتبين الوسائل التى ينبغى أن تتبع لازالة هذه الأسباب ، كما أنه انعكاس لشعور من القلق ازاء مستقبل الديموقراطية الغربية بعد الانتكاسات التى تعرضتلها منذ الحرب العالمية الاولى • ومع ذلك فانه يوحى بضرورة المرونة فى تفسير وتطبيق الكثير من المقومات التى تسود المجتمعات الديموقراطية ، « وهكذا يمكن – بل ينبغى – أن ينظر الى قوانين التملك ، وأن يعاد فيها النظر ، وأن تعدل اذا اقتضى الأمر بحيث يتحدد نموذج للحقوق والالتزامات يكون من شأنه تحقيق أهداف المجتمع » وللكاتب عبارة لها أهميتها ، فلكى نهيىء الناس للايمان بفلسفة الحياة العامة لابد من تبيان الأهمية العملية لهذه الفلسفة وانتاجيتها •

والترجمة العربية جديرة بالتهنئة اذ ليس من السهل نقل المؤلفات المتصلة بمسائل الفلسفة ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فاذا لم تراع الدقة فقدت الكثير من معانيها ، وهذا ما حرص المترجم على تجنبه فجاء النص العربى واضحا كل الوضوح ، ومعبرا تماما عن أفكار المؤلف وهو ما تبيناه وقد سبق لنا قراءة الأصل الانجليزى •

الدكتور راشد البراوى

• • •

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

تراثنا

تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور

تأليف : محيي الدين بن عبد الظاهر

الناشر مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر
بالاشتراك مع الشركة العربية للطباعة والنشر
عدد الصفحات : ٣٢٩ ص القطع ٢١ × ٢٩ سم

يتمتع عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون(١٢٧٩ - ١٢٩٠) بأهمية خاصة في تاريخ دولة المماليك بمصر والشام . ففي ذلك العهد بالذات أخذت الأوضاع تستقر لحكم المماليك ، كما أخذت النظم التي ميزت تلك الدولة تتبلور لتضفي عليها طابعها الخاص الذي ميزها طوال تاريخها .

ثم أن السلطان المنصور قلاوون صادف في عهده جميع أنواع الصعاب والأخطار التي صادفها غيره من سلاطين دولة المماليك في ذلك الدور الأول من تاريخ تلك الدولة ، مما جعل عهد المنصور قلاوون حافلا بكافة ألوان النشاط الذي ميز ذلك العصر . فالسلطان قلاوون نفسه لم يتمكن من اعتلاء دست السلطنة الا بعد سلسلة من المؤامرات أدت الى عزل ابني الظاهر بيبرس واحدا بعد آخر . وخلال المدة التي حكم فيها ابنا بيبرس تظاهر قلاوون بالزهد في السلطنة والحرص على احترام حقوق ذرية بيبرس ، حتى استطاع التمكين لنفسه والتخلص من خطر منافسيه ، وعندئذ أعلن في صراحة أن « المملكة لاتقوم الا برجل كامل » ، فكان ذلك ايذانا بقيام المنصور قلاوون في السلطنة سنة ١٢٧٩ . والملاحظ أن هذا الأسلوب في الوصول الى العرش أصبح الأسلوب الشائع الذي اتبعه كثير من سلاطين المماليك .

كذلك لم يكد المنصور قلاوون يعتلي عرش السلطنة حتى تعرض للمؤامرات التقليدية التي تعرض لها معظم سلاطين المماليك من جانب الأمراء المنافسين . وقد خرج الأمير سنقر الأشقر نائب الشام عن طاعة قلاوون ، بل تمادى الأمير سنقر وأعلن نفسه سلطانا على الشام ، الأمر الذي استنفد من قلاوون جهدا كبيرا حتى تمكن من اخضاع تلك الحركة والقضاء على نفوذ الأمراء المناوئين .

وكان من الطبيعي أن يصطدم السلطان قلاوون بأكبر خطرين خارجيين هددا الوطن العربي في الشرق الأدنى في ذلك العصر وهما خطر المغول وخطر الصليبيين . أما عن مغول فارس فقد استمروا بعد عين جالوت يهددون دولة المماليك في الشام بين حين وآخر ، وفي كل مرة تخرج الجيوش من مصر لدفع خطرهم ، فيرتدون الى العراق ومعهم ما استطاعوا جمعه من الأسلاب والغنائم. وقد حدث في أوائل عهد المنصور قلاوون أن أوغل المغول في شمال بلاد الشام سنة ١٢٨٠ واستولوا على بعض أعمال حلب ، ولكن جيوش المنصور قلاوون وقفت لهم بالمرصاد وأنزلت بهم هزيمة قرب حمص سنة ١٢٨١ ، مما جعل أبغاخان يعود مندحرا الى بغداد . وقد خلف أبغا في حكم

تحقيق: الدكتور مراد كامل
مراجعة: محمد علي النجار

مغول فارس أخوه تكودار الذى تسمى باسم أحمد، ودارت بينه وبين السلطان قلاوون مراسلات على جانب خطير من الاهمية حول ضرورة جمع كلمة المسلمين وترك المنازعات حقنا للدماء ·

وأما عن الخطر الصليبى ، فان السلطان المنصور قلاوون وجد لزاماً عليه أن يتابع سياسة الظاهر بيبرس فى تقويض أركان البناء الصليبى بالشام · واذا كان الظاهر بيبرس قد استرد مدينة أنطاكية من الصليبيين ، فان المنصور قلاوون أخذ يوجه جهوده نحو استرداد المركزين الكبيرين المتبقين للصليبيين بالشام وهما طرابلس وعكا · وفعلا نجح المنصور قلاوون فى استرداد طرابلس واستعد لتوجيه ضربته ضد الصليبيين فى عكا عندما دهمه الموت فجأة فى نوفمبر سنة ١٢٩٠ · وربما ارتبط بالتيار الصليبى العام فى ذلك العصر الحروب التى قام بها سلاطين المماليك ضد مملكة النوبة المسيحية· ذلك أنه وجد فى النوبة وشمال السودان مملكة مسيحية دأب ملوكها على الاغارة على أطراف مصر الجنوبية للسلب والنهب ، مما جعل سلاطين المماليك يهاجمون تلك المملكة ، بعد أن رأوا فى ذلك تحقيقا لسياسة الجهاد من ناحية وتأمينا لأطراف دولتهم من ناحية أخرى · لذلك أرسل السلطان المنصور قلاوون حملتين الى النوبة سنة ١٢٨٦ والثانية سنة ١٢٨٩ ، وكان لهاتين الحملتين شأن كبير فى تاريخ العلاقات بين مصر والنوبة فى العصور الوسطى ·

ومن هذا كله يتضح أن عصر السلطان المنصور قلاوون كان عصرا زاخرا بالأحداث حافلا بالنشاط فى الداخل والخارج · فاذا أضفنا الى هذا النشاط أن المنصور قلاوون هو المؤسس لطائفة المماليك الجراكسة الذين أكثر من شرائهم وخصص لهم أبراجا بالقلعة يقيمون فيها، وأن المنصور قلاوون نجح بفضل ما قام به من نشاط واسع وما حققه من مجد وانتصارات أن يمكن لبيته ، مما جعل منصب السلطنة يستمر فى اعقابه نحوا من مائة عام – وذلك لأول مرة فى تاريخ سلطنة المماليك الذى لم يعترف بمبدأ الحكم الوراثى – ، أدركنا فى النهاية مدى أهمية عهد المنصور قلاوون ومكانته بين سلاطين المماليك.

***

وكان من الطبيعى نظرا لهذه الاهمية لعصر السلطان قلاوون أن تحظى الكتابات التاريخية عن ذلك العصر باهتمام المؤرخين وعنايتهم ، وبخاصة اذا كان بعض هذه الكتابات دونها معاصرون عاصروا المنصور قلاوون وشاهدوا بأعينهم الأحداث الكبيرة التى حفل بها ذلك العصر · ومن بين هذه الكتابات – وهى قليلة – تحتل الصفحات التى دونها محيى الدين بن عبد الظاهر مكانة بارزة تسترعى اهتمام المؤرخ وعنايته ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك أن محيى الدين بن عبد الظاهر لم يكن مجرد كاتب معاصر لمس التيارات المعاصرة أو سمع من بعيد عن الأحداث الدائرة ، وانما ترجع خطورة ابن عبد الظاهر الى أنه ولى ديوان الانشاء فى عهد السلطان المنصور قلاوون · واذا ذكرنا ديوان الانشاء فاننا يجب أن نذكر الديوان الذى تركزت فيه جميع أسرار الدولة الداخلية والخارجية، والذى كانت تصدر منه كافة المكاتبات للملوك والنواب والأمراء · ومعنى ذلك أن صاحب هذا الديوان كان مطلعا على مالم يطلع عليه غيره من كبار رجال الدولة ، فاذا كتب تاريخا للعصر الذى عاش فيه، فهو يكتب عن ثقة ، ويعتمد فيما يقرره على مابين يديه من وثائق ونصوص وأسرار ربما لم يتح لغيره الاطلاع عليها · وهذا هو السر فى أهمية ما كتبه محيى الدين بن عبد الظاهر من كتابات تاريخية عاصر أحداثها ، ومنها

الكتاب الذى نحن بصدده ، وهو كتاب تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور (قلاوون).

***

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور مراد كامل وراجعه الأستاذ محمد على النجار ، ونشرته الادارة العامة للثقافة بوزارة الارشاد القومى فى سنة ١٩٦١ • وذكر المحقق فى مقدمة الكتاب أنه عثر على النسخة الخطية التى اعتمد عليها فى نشره فى المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٧٠٤، وأن هذه النسخة الخطية انما هى جزء من كتاب تشريف الأيام والعصور وليست الكتاب كله ، حيث انها تبدأ بحوادث سنة ٦٨٠ هـ فى حين يبدأ حكم السلطان المنصور قلاوون ٦٧٨ هـ • على أن المحقق حاول أن يسد هذا النقص فى الكتاب، فنقل ما كتبه المؤرخ ابن الفرات فى تاريخه عن السلطان المنصور قلاوون فيما بين سنتى ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) ، ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) ، وجعل ذلك مدخلا للمتن الذى عثر عليه من مخطوطة تشريف الأيام والعصور ، حتى تكتمل أمام الباحث الصورة عن عهد السلطان قلاوون •

ولا يستطيع أحد أن ينكر الخدمة الكبرى التى قدمها المحقق للمشتغلين بتاريخ العصور الوسطى العامة وتاريخ مصر ودولة المماليك خاصة بنشرة هذه المخطوطة • ويكفى أن نشير الى أنه أتاح لهم فرصة دراسة المصدر الأصلى الذى أخذ عنه معظم المؤرخين والكتاب الذين تعرضوا فى كتبهم لتلك الحقبة الهامة ، أمثال القلقشندى والمقريزى وأبى المحاسن والعينى وابن حجر وغيرهم • ثم ان المكانة الشخصية التى حظى بها ابن عبد الظاهر عند السلطان قلاوون وأهمية مركزه ووظيفته ، كانت — كما سبق أن أشرنا — كفيلة بأن تجعل كتاباته موضع ثقة المشتغلين بالتاريخ • هذا الى أن أهمية ابن عبد الظاهر لاتقتصر على عهد السلطان قلاوون وانما تمتد الى عهد السلطان الظاهر بيبرس من ناحية وعهد الأشرف خليل بن قلاوون من ناحية أخرى ، الأمر الذى جعل من ابن عبد الظاهر العمدة فى تاريخ تلك الحقبة الهامة ، فضلا عن تمكينه من الربط بين الاحداث السابقة واللاحقة ربطا جميلا محكما •

والواقع أن الأستاذ المحقق بذل جهدا كبيرا مشكورا فى نشر هذه المخطوطة واستكمال النواحى الناقصة أو المفقودة منها وشرح الجوانب المبهمة أو الصعبة فى المتن • ولكن مع اعترافنا بعظم الجهد الذى بذله المحقق وتقديرنا لأهمية الخدمة التى أداها للمشتغلين بالتاريخ ، الا أن لنا بعض ملاحظات لاينبغى أن تقلل من قيمة ذلك الجهد وتلك الأهمية • ونكتفى من تلك الملاحظات بما يلى : —

أولا : ذكر لنا المحقق أنه اعتمد فى تحقيق المخطوطة على نسخة وجدها فى المكتبة الأهلية بباريس • ولكنه لم يشر الى جهود أخرى كان يمكن أن يقوم بها لمحاولة العثور على نسخة أخرى من هذا الكتاب تجعل عملية التحقيق أكثر أمنا وصحة • ولو ذكر المحقق أنه حاول الاتصال ببعض المكتبات العالمية حيث تتوافر المخطوطات العربية — فى اسطنبول والأناضول وروسيا والمتحف البريطانى ... — للاستفسار منها عن مخطوطة بهذا الاسم أو حول ذلك الموضوع لكان هذا أدعى الى زيادة الثقة بالعمل الذى نهض به • وقد دلتنا التجارب على أنه ليس أخطر فى نشر المخطوطات من الاعتماد على نسخة واحدة الا فى حالة الضرورة القصوى ، عندما يعلن المحقق أنه عجز تماما عن الحصول على نسخة أخرى من المخطوطة التى ينهض بنشرها • ذلك أن كثرة ما اعترى المتون — على مر السنين — من تحريف وتشويه ومسخ — يجعل من الخطورة بمكان الاعتماد فى نشر أية مخطوطة على نسخة واحدة ، بالغة ما بلغت من الدقة •

ولا أريد أن أؤكد وجود نسخ أخرى من هذا الكتاب فى بعض المكتبات العالمية فى الخارج ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن كل ما استطيع أن أؤكده هو أننى شخصيا بالبحث فى دار الكتب المصرية بالقاهرة عثرت على نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية تحت رقم ٢٢٢٦ بعنوان « تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور – الجزء الثانى » • ومن الواضح أنه لو حاول المحقق البحث فى القاهرة نفسها لعثر على هذه النسخة ، ولاتخذها أساسا للمقارنة بينها وبين مخطوطة باريس ، مما يجعل عمله أكثر دقة ورسوخا •

ثانيا : كانت النتيجة الحتمية لاعتماد المحقق على نسخة واحدة فى تحقيق المخطوطة هى احتمال وقوع الخطأ • من ذلك ما حدث من تداخل واضح وارتباك ظاهر فى صفحات ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ من الكتاب المطبوع ، فتداخلت أخبار حملات قلاوون على النوبة مع أخبار الحملة التى أرسلها ابنه الأشرف خليل بقيادة الأمير عز الدين الأقرم • وفى صفحة ١٥٣ من الكتاب المطبوع يروى النص قصة حملة السلطان قلاوون ضد الصليبيين بالشام وينتقل النص فجأة الى أعمال جيوش المماليك فى النوبة ، فيقول « فوجدوا على ذلك الماء من خبرهم أن الملك آنى له يومان منذ رحل الى جهة الانج ... » ، مما يشعر القارىء أن أعمال المماليك فى النوبة انما هى جزء من أخبار حملة قلاوون ضد الصليبيين بالشام • ومثل هذا الخلط يوجد فى صفحتى ١٥٤ ، ١٥٥ ، الأمر الذى أفسد المتن فى ذلك الجزء من الكتاب •

ثالثا : أحسن المحقق صنعا بالترجمة التى أوردها فى صدر الكتاب عن مؤلف صاحب المخطوطة محيى الدين بن عبد الظاهر ، فقد كانت هذه الترجمة لابد منها لايضاح مكانة المؤلف والتعريف به وابراز أهمية كتابته • ولكن لست أدرى ما الحكمة فى أن المحقق حاول أن يحشر فى الصفحات من ٣٥ حتى ٤٢ كلاما بسيطا عن نشأة المماليك ونظم الحكم فى دولتهم وكيف انتقلت السلطة اليهم • هل ظن المحقق أنه من الممكن أن يرجع باحث الى كتاب معاصر مثل تشريف الأيام والعصور وهو يجهل من هم المماليك وكيف وصلوا الى الحكم ؟ وربما كان من الممكن أن تكون لهذه المقدمة فائدة لو أن المحقق أتى فيها بجديد ، ولكنها للأسف لم تتعد مستوى مايدرسه تلاميذ المدارس ، ولاتتناسب مطلقا مع قيمة المخطوطة ومستواها العلمى •

ومثل ذلك يقال عما كتبه المحقق عن السلطان المنصور قلاوون نفسه ، اذ كان أجدر به أن يكتب مقدمة قوية عن أهمية عهد المنصور قلاوون فى تاريخ المماليك ، ولكنه للأسف ركز معظم كلامه على العلاقات الخارجية فى عهد المنصور قلاوون ، وأغفل كثيرا من التيارات الهامة التى حفل بها ذلك العصر • فهو مثلا لم يشر الى تكوين فرقة المماليك الجراكسة أو البرجية فى عهد قلاوون ، وهى الفرقة التى صارت لها أهمية كبيرة فى مستقبل الأحداث •

رابعا : حرص المحقق على استخدام لفظى « المملوكى » و « المملوكية » أكثر من مرة فى مقدمته وحواشيه • ولعله قد آن الأوان لكى نتخلص من هذا الخطأ اللغوى الواضح • فصحة النسبة الى المماليك هى«المماليكى» و «المماليكية»، لأن قاعدة الجمع الى المفرد فى النسبة لم يطبقها العرب الا فى اسم الجنس ، ولهذا قالوا رجل شعوبى وانصارى • ولم يستثن من هذه القاعدة سوى الأعلام وماخيف فيه اللبس • وعلى ذلك فان النسبة الى المملوك المفرد فى اللغة غير صحيحة وصحتها مماليكى •

خامسا : ومن البدع المستحدثة عندنا فى السنوات الأخيرة هى أن يعمد ناشر المخطوطة الى حشد عدد ضخم من الملاحق فى نهاية المتن • وربما كانت هذه الملاحق على جانب كبير من الأهمية والفائدة اذا روعى فى اختيارها شرطان اساسيان : **الأول** : هو الجدة بحيث لم يكن سبق نشرها ولا يستطيع قارىء النص الأصلى أن يرجع اليها فى سهولة والشرط **الثانى** ارتباطها بالمتن ارتباطا قويا يجعل من الضرورى للقارىء الاستعانة بها فى فهم بعض أجزاء المتن.ويترتب على هذين الشرطين الاقتصاد فى تلك الملاحق بحيث لاتصبح كالجراد الذى يحجب قرص الشمس • ولكن الملاحظ على كثير من المخطوطات التى قامت على نشرها ادارة حكوميه – مثل وزارة الثقافة والارشاد – الاسراف فى حشد عدد كبير من

الملاحق فى نهاية كل مخطوطة ، حتى لقد فاق حجم الملاحق فى بعض تلك الكتب حجم المتن الأصلى • ولست أدرى ما الحكمة فى أن يورد المحقق نصا طويلا منقولا نقلا حرفيا عن القلقشندى أو ابن تغرى بردى أو المقريزى أو ابن الفرات ... وجميع هذه المؤلفات مطبوعة فعلا ويستطيع القارىء أن يرجع اليها فى سهولة • وكان يكفى أن يشير المحقق فى حاشية من سطر أو سطرين الى موضع النص أو الترجمة فى الكتاب المطبوع •

على أننى لا أريد أن ألقى باللوم كله على المحققين والناشرين وانما يبدو لى أن وزارة الثقافة والارشاد يجب أن تتحمل جزءا من مسئولية ذلك الحشو الكريه ، لأن الحقيقة المكشوفة هى أن هذه الوزارة تكافىء المحققين بعدد الصفحات والملازم دون تقرير لقيمة الجهد المبذول فى تحقيق المخطوطة • ومادام المقياس والجزاء بالكم لا بالكيف ، فليحاول كل محقق أن يحشر فى ختام المتن الذى حققه أكبر قدر ممكن من الصفحات النافعة وغير النافعة طمعا فى كرم العطاء •

وبعد ، فان هذا النقد الموجز لكتاب تشريف الأيام والعصور لم يقصد به سوى البناء والاشادة بما فى الكتاب من حسنات • فالشىء لاتبدو حسناته الكبيرة الا بالاشارة الى مافيه من عيوب صغيرة • والجهد الذى بذله محقق الكتاب أعظم من أن يحاول انسان أن يقلل من شأنه • وحسب الدكتور مراد كامل أنه أمدنا بمتن مطبوع مصحح مشروح لمرجع من أخطر المراجع التى لاغنى عنها الباحث فى تاريخ المماليك •

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

سطور من كتاب ...

« انه لمن الممتع أن نرقب ضفة تكسوها العديدمن النباتات من كل الأنواع ، تصدح بها الطيور على الشجيرات وتحوم فيها الحشرات من كل صنف ، وتزحف الديدان مخترقة التربة الرطبة ، ثم نتأمل كيف أن تلك الصور الحية المبنية احسن بنيان والتى يختلف بعضها عن البعض كثيرا والتى يعتمد كل منها على الآخر بكيفية غاية فى التعقيد ؛ كيف نشأت كلها بقوانين تعمل حولنا » ..

.. الجزء الثانى من أصل الأنواع



وداعاً للسلاح

تأليف : أرنست همنجواى
ترجمة : مراد الزمر
مراجعة : مصطفى حبيب

الناشر : مشروع الألف كتاب : ٥٢٠ صفحة قطع متوسط ٣٠،٥

تمت ترجمة هذا الكتاب الشهير باشراف وزارة التعليم العالى ، ونشر فى سلسلة الألف كتاب ، ونشرته مؤسسة سجل العرب . والترجمة فى مجموعها جيدة ، ولكننا نريد قبل التعرض لحديث الترجمة ، أن نخوض فى حديث الكتاب نفسه ، وحديث مؤلفه الذى نال شهرة عريضة ، وهز انتحاره وهو فى أوج شهرته وجدان القراء فى جميع أنحاء العالم منذ زمن غير بعيد .

ويخيل الينا أن من يتأمل كتاب « وداعا للسلاح » حرى أن يجد فى جوه ، وفى فلسفته العامة ما يفسر اقدام أى انسان له مثل هذه الفلسفة على وضع حد لحياته .

وأول ما يواجهنا فى الكتاب الذى تدور أحداثه فى الجبهة الايطالية أثناء الحرب العالمية الأولى تلك النزعة الحسية التى يدين بها البطل راوية القصة . نزعة حسية يائسة ومستهينة فى وقت واحد . فهو غير متفق فى يأسه مع رجل كريم النفس مثل أبى العلاء الذى يقول :

تأملنا الزمان فما وجدنا
الى طيب المقام به سبيلا
فأصبح واحد الرجلين اما
مليكا فى القبائل أو أبيلا

والأبيل هو الراهب المعتزل الزاهد المتنسك . وقد اختار المعرى أن يكون ذلك الأبيل لأن مقاليد الملك لم تكن فى متناول يده .

أما همنجواى فى « وداعا للسلاح » ، فلا يرى الى طيب المقام سبيلا ، ولكنه يتهالك على كل لذة عابرة ، فيرشف منها أو يعب فى يأس من دوامها ، وفى يأس من جدواها ، وبطله يسرف فى احتساء الخمر ، ولايقيم لحياته وزنا ، وينظر الى الكوارث فى تلك الحرب تصيب الناس وتصيبه بلا احتفال . وان كانت غريزة حب الحياة تدفعه الى الهرب دفعا حين يتهدده الهلاك فى محاكمة ميدانية ظالمة .

البطل ليس وحشا ضاريا ، لأنه لايؤمن بالضراوة ، ولا يجد همة كافية لها . فلابد للضارى أن يكون متكالبا على غايته . وهو ليس متكالبا على شىء . فهو ان أدرك ما يصبو اليه بأيسر جهة فبها ونعمت ، وان فاته فلا حزن ولا حسرة . فكل فوت تغسله كأس من الخمر أو كأسان ...

أن اجتذب أنفاسي فوثقت أني عدت الى الحياة • كانت الأرض من حولنا ممزقة ، ولما أفقت وجدت قطعة من الخشب على جبهتي • وفى هذه الدوامة التى كانت تدور فى رأسى سمعت شخصا يبكى حتى ظننت بكاءه عويلا ، فحاولت أن أسعى اليه ، ولكنى وجـــدت نفسى غير قـــادر على الحراك • وسمعت المدافع تدوى ، ورصاص البنادق عبر النهر وعلى طوله ، ثم رأيت وهجا شديدا منبثقا من صواريخ ترتفع ثم تنفجر وتسبح أضواؤها فى الفضاء بيضاء اللون ، وسهاما نارية تعلو ، يعقب كل هذا دوى القنابل ... مر كل هذا فى لحظات قصار ، ثم سمعت رجلا بجوارى يناجى أمــه : « آه يا أمى » فجمعت قواى ودرت حول نفسى حتى لمسته • لقد عرفته • انه « باسينى » • لقد صرخ عندما مسسته .وفيما بين الظلمة والنور استطعت أن أرى ساقيه وقد امتـــدتا نحـــوى وتحطمتا فوق الركبة • لقد بترت احداهما ، أما الأخرى فكانت معلقة بخيط رفيع من أعصابه وسرواله ، ملقاة كأن لم تكن موصولة بجسده ، وهو يعض ذراعه ويئن أنينا موجعا ويقول « آه يا أمى ! امتنى يارب ! يامريم الحبيبـــة أميتينى وأوقفى آلامى ! » ••

لكأنك تشهد لقطة سينمائية ، الصــورة والحوار هما اللذان يخاطبان وجدانك • والمؤلف دوره كدور المخرج ، لايتكلم الا من خـــــلال الصورة والحوار ...

وقد يقول بعض الناس أن الســـــينما هى المقصودة بهذه الكتابة • ولعل هذا التأثير ظاهر فى كتـــابة كثيرين من القصاصـــين الأمريكيين والأوربيين المعاصرين .. ولكن الأقرب من هذا الى الصواب أن « عقليـة السـينما » طغت على أبناء عصرها ، فصار أسلوبهم هو أسلوبها ، حتى وان لم ينظروا الى اخراج أعمالهم القصصـــــية على شاشتها •

وفى المناسبات القلائل التى يجنح فيها الى شيء من عمق التفكير ، يورد ذلك فى حـــوار خاطف • ولعل أبرع هذه المناسبات النـــادرة مناقشة دارت بين البطل وبين كونت ايطـــالى طاعن فى السن محب لمباهج الحياة :

— انك راجح العقل ياكونت

— كلا • انها الأكذوبة الكبرى التى يسمونها حكمة الشيوخ • انهم لايصبحون أكثر حكمة ، بل أشد حذرا !

— ربما كانت هذه هى الحكمة بعينها

— انها حكمة غير مستحبة ! خبرنى : ما أثمن شيء لديك ؟

— شخص أحبه •

— وكذلك أنا !

وندع الكتاب وكاتبه لنتحدث قليــــلا عن الترجمة العربية • وهى كما قلنا آنفا جيدة فى مجموعها ، وان كانت لنا عليها ملاحظات قليلة جدا .. لا تقلل من قيمتها وجهد صاحبها •

من ذلك مثـلا (فى ص ٣٥) قول المترجم — والحديث عن السيارات وقطع الغيار الخ :

— أين مستودع الغاز الآن ؟

والمقصود ليس الغـــاز ، بل البنزين ، وان كان الانجليز يستخدمون هـــذه الـكلمة فى الاستعمال الدارج ، مثلما نسمى نحن الكيروسين « الجاز » • والغاز كما نعلم حالة من أحوال المادة الثلاث وهى : الغازية والسيولة والصلابة •

وقوله فى ص ٤٦ — من الحديث عن اللغة الايطالية :

— انى « لن » أتعلمها فى ١٥ يوما • لقـــد ظللت أدرسها شهورا •

والمقصود طبعا هذا المقام « لم » أتعلمها •



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوله فى ص ١٤٠ :
– ولكن لم « يأتينا » أحد
والصواب طبعا لم « يأتنا » •
وقوله فى ص ٣٥٧ :
– وراء « تاجليامنتو »
والاسم ايطالى ، والجيم قبل اللام لاتنطق ، وصوابه تاليامنيتو •

وقوله فى ص ٤٤٥ ومابعدها – والحديث عن البطل وصاحبته حين اجتازت معه الحـدود الى ايطاليا فكان لابد أن يفسر الأمر لحراس الحدود:
– كنت أدرس العمارة فى ايطاليا • و «ابنة عمى » هذه تدرس الرسم •

والصواب ابنـة عمتى أو ابنـة خالى أو ابنة خالتى ، فهذه لها لفظ واحد فى الانجليزية مع « ابنة عمى » ، ولكن بنت العم يتفق اسمهـا فى جواز السفر مع اسم البطل ، باعتبار جدهما لأبويهما واحدا ، وهذا غير الواقع لأن الفتاة من ذوى قرباه • فلا يمكن أن يعنى اذن أنها بنت عمه حتى لا يكتشف الحراس كذبه ، ولا يبقى الا ان يكون معنى الكلمة هنا « ابنة » الخال أو الخالة أو العمة ، لأن اسم جدها لأبيها فى جواز سفرها عندئذ لا يلزم أن يكون مطابقا لاسم جده لأبيه •

وهى من السـهوات المألوفة فى أعمـال المترجمين، ومن الميسور تحاشيها بشىء من التبصر كى تبرأ الترجمة الجيدة من شائبة لا موجب لها•

الدكتور نظمى لوقا

سطور من كتاب ...

« يا الهى شـد ما يبدو الوقت قصيرا أحيانا اذا قيس بالأرقام على حـين تتمزق الأعصـاب من طوله تمزقا . وما هـذه العادة الوحشية الجديدة ! . انه يجلس هذه الجلسة لا ليحادثها ولا ليلاعب لولو ولكن ليشرب الخمر ، ويمعن فى الشراب ليلة بعد أخرى . ويفرط فى التدخين فدائما تتلوى حول رأسـه سحاباته الشاحبة . الا ما أفظع هذا كله » ..

... دنيا الله

سقراط

تأليف: تيلور
ترجمة: محمد بكير خليل
مراجعة: الدكتور زكي نجيب محمود



الألف كتاب ـ مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٦٢ ـ ١٤٨ صفحة

سقراط شيخ الفلاسفة ، استاذ أفلاطون ، وراسم طريق الفلسفة لأرسطو ومن جاء بعدهما. سماه العرب سقراط الالهى تشريفا وتكريما . أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض ، وحوّلها من النظر فى الأمور الطبيعية الى البحث فى النفس الانسانية . أرسى قواعد الفلسفة الأخلاقية ، ووضع الطريقة السقراطية المعروفة باسم التهكم والتوليد .

شارك السفسطائيين فى القرن الخامس قبل الميلاد فى حركتهم التى كانت تبحث فى نواحى النشاط الانسانى من لغة وأدب وفن ودين وسياسة وتعليم ، وغاص معهم فى الأصول التى يعتمد عليها المجتمع البشرى ، ومعرفة القوانين التى تحكم العلاقات بين الناس . ولكنه اختلف عنهم فى أمرين أساسيين : الأول أنه لم يكن يأخذ أجرا على التعليم ، والثانى أنه كان يطلب الحق على حين كان السفسطائيون يطلبون الغلبة ولو كان ذلك على حساب الحق .

وعلى الرغم من ذيوع صيته ، وكثرة تعاليمه، لم يدوّن بقلمه سطرا ، ولم يخلف لنا كتابا . وكل ما نسب الى سقراط أقاويل ومحاورات سجلها تلميذه أفلاطون فى محاوراته، أو زينوفون فى مذكراته ، أو أرستوفان فى تمثيلية السحب، أو أرسطو فى بعض كتبه . ويعد هؤلاء الاربعة المصادر الرئيسية عن آراء سقراط . ولم يكن المؤرخون منذ الزمن القديم حتى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يشكون فى هذه الأفكار التى وردت على لسان سقراط ، بل يعدونها معبرة حقا عن فلسفته . غير أن النزعة النقدية التى شاعت فى القرن الماضى تبغى التثبت من صحة الروايات التاريخية ، لم تلبث أن طبقت على سقراط ، وأعلن كثير من الباحثين شكهم فيما نسب الى سقراط ، وزعموا أن أفلاطون ، وهو المصدر الرئيسى عن سقراط ، انما اتخذ اسم أستاذه « قناعا » يخفى وراءه آراءه الأفلاطونية . وتطرف أحد الباحثين فذهب الى أن سقراط شخصية خرافية ليس له حقيقة تاريخية، وتوسط البعض الآخر من الباحثين وقسموا المحاورات

الافلاطونية قسمين ، الأول يعبر عن أفكار سقراط ويشمل محاورات الشباب من مثل بروتاجوراس وجورجياس وهبياس وغيرها الى الكتب الثلاثة الاولى من الجمهورية ، أى قبل أن يفتح أفلاطون الأكاديمية ، والثانى يعبر عن أفكار أفلاطون ، وهى المحاورات التى دوّنت بعد ذلك وتنتهى بمحاورة القوانين • واطمأن الناس الى هذه النتيجة الأخيرة التى أجمع عليها معظم المؤرخين الألمان والفرنسيين ، وخلاصة بحثهم أن نظرية المثل أفلاطونية ، وأن المباحث التى تدور حول الفضيلة سقراطية •

وفى وجه هذا التيار الجارف الذى يكاد يشبه الاجماع نهض الأستاذ ألفرد تيلور ، الحجة فى دراساته عن أفلاطون ، وصاحب الكتاب المشهور « أفلاطون الرجل وفكره » ، فكتب هذا الكتاب عن سقراط ، يثبت فيه أن أفلاطون لم يتخذ سقراط « قناعا » يتستر وراءه ليعرض من خلاله أفكاره هو • وفى الوقت نفسه أخذ يرسم صورة لحياة سقراط منذ نشأته حتى وفاته ، معتمدا على مختلف المصادر الرئيسية والثانوية ، المعاصرة والمتأخرة ، على حد سواء ، فأبرز لنا صورة فنية رائعة تليق بأحد قادة الفكر وعباقرة الفلسفة • وأخذ يفند سائر الروايات القديمة واحدة بعد أخرى مبتدئا برواية أرستوفان •

أرستوفان شاعر الملهاة — الكوميديا — فى القرن الخامس ، اتخذ من شخصية سقراط المحور الرئيسى الذى تدور حوله تمثيليته ، وقدمها للمسرح سنة ٤٢٣ أى قبل الحكم على سقراط بثلاثة وعشرين عاما — ولد سقراط ٤٧٠ وتوفى ٣٩٩ — وكان لعرضها أثر فى الحكم عليه فيما بعد ، لأنه صور سقراط فيلسوفا طبيعيا ، ينكر الآلهه ، ويعلم الشباب الجدل ، وفى هذه التمثيلية بالذات يتعلم شاب الثورة على أبيه •



وقد وردت اشارات فى محاورة « فيدون » التى كتبها أفلاطون تؤيد اشتغال سقراط فى بدء حياته بالفلسفة الطبيعية ، ثم عدوله عنها • ذلك أنه اشترى كتاب انكساجوراس فى الطبيعة، وقرأه ، وأعجب به ، ولكنه رأى تفسيره للظواهر ماديا بحتا يغفل النظر الى « الغاية » ، مثل تفسير جلوس شخص على كرسى بانثناء العظام وانقباض العضلات دون النظر فى « العلة » التى من أجلها جلس • ولا غرابة فى أن يتعلم سقراط العلم الطبيعى السائد فى عصره ، والمأثور عن المدرسة الأيونية ممثلة فى طاليس وأنكسمندر وأنكسمانس، والتى كانت ترد المادة المتحولة الى مبدأ واحد • ويتمثل هذا التحول فى انتقال النار الى هواء الى ماء الى أرض بالتكاثف ، ثم تحولها بالعكس بالتخلخل • ولم تكن هذه المدرسة هى الوحيدة التى عرف سقراط آراءها ، فقد كان فى شبابه تلميذا لأحد أتباع هرقليطس صاحب القول بالتغير مبدأ للوجود ، والتقى كذلك بزينون الايلى وأستاذه بارمنيدس ، وناقشهما فى فلسفة الوجود ، مما نجده مصورا فى محاورة بارمنيدس الأفلاطونية •

ويبدو أن سقراط بعد أن طاف بسائر المدارس الفلسفية القائمه فى اليونان آنذاك ، اصطنع المبادىء الفيثاغورية آخر الأمر ، ولعله كان رئيس شعبة لهذه المدرسة فى أثينا ، ذلك ان كل الذين يلتقون به فى السجن ليلة تناوله السم فى المحاورة المعروفة باسم فيدون والذين تذكر أسماؤهم من أصحابه ان كانوا على سفر ، فمن الذين حضروا بالفعل سمياس وقبيس وهما من تلامذة فيلولاوس الفيثاغورى المشهور ، ثم اقليدس وتربيون وكلاهما من ميجارا ، وأولهما مشهور بنظريته فى الجمع بين الوجود والخير ، وهؤلاء وغيرهم لم يكونوا مواطنين أثينيين بل كانوا من مدن أخرى يونانية ، اجتمعوا على مائدة الفكر ، وربطت بينهم أواصر الوفاء برباط سرى•

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك أن الفيثاغورية كانت الى ذلك الحين مدرسة « سرية » أو بالاصطلاح الاسلامى « باطنيـة » ، وكانت تعاليمها رياضية ونفسية ، ففى الرياضة تجعل العدد والنغم والتناسب مباديء الموجودات، أما من جهة جانبها النفسى والدينى فانها تقول بتناسخ النفس ووجوب السير فى طريق الزهد والتطهير . وقد استمرت الفيثاغورية محتفظـة بطابع السرية مع الجمع بين الرياضيات من حساب وهندسة وفلك وموسيقى وبين البحث فى النفس حتى انتقلت الى الاسكندرية ومنها الى العرب ، واصطنع تعاليمها فى الاسلام جماعه اخوان الصفا بوجه خاص .

ولكن سقراط لم يتابع المذهب الفيثاغورى فى خلود النفس على طول الخط ، بل اعترض على هذا المذهب . ففى فيدون عدة أدلة على خلودها ومباينتها للبدن ، منها دليل التضاد ، ودليـل البساطة والتركيب ، ودليل الانسجام ، أى ان النفس أشبه بالنغم الذى يصدر عن القيثارة ، باعتبار أن البدن يشبه القيثارة . ثم دليل التذكر الذى يفضى الى التناسخ ، بمعنى أن النفس لأنها كانت تعيش معيشة سابقة فانها تتذكر ما كانت تعرفه من قبل ، ثم دليل المثل .

ونود أن نقف بعض الشيء عند هذا الدليل، لأن الباحثين مختلفون فى شأنه أهو سقراطى ام أفلاطونى . وقد ذكرنا أن معظم المحدثين يقررون أن نظرية المثل فى شكلها المعروف أفلاطونية ، غير أن تيلور ، وكذلك زميله برنت ، يذهبان الى أن نظرية المثل من فكر سقراط ، ونحن نرى أن هذا الرأى لايتفق مع واقع الفلسفه السقراطية .

السقراطية فى أساسها « حوار » ، لمحاولة الوصول الى الحقيقة ، وهذا الحوار لايفرض فيه الرأى على سبيل التعليم، بل تجرى المناقشة حرة، يدعى فيها سقراط الجهل ، ويسخر من محاوره، ويوقعه فى التناقض ، ويلجئه الى النظر فى نفسه لاستخلاص الحقائق بنفسه . وبعبارة أخرى أى شخص يسـتطيع اذا تحرر من قيود التقليد أن يصـل الى معرفة حقيقة الأمور الخلقيـة والدينية والسياسية والاجتماعية والنفسـية .

وهذه الطريقة السقراطيـة تعرف باسم التهكم والتوليد ، ولاتزال تستخدم حتى اليوم فى التربية، وهى من أفضل الطرق . ولابد فى هذه الطريقة من مناقشة بين معلم ومتعلم . وليس من الضرورى أن يصل المتحاور الى الحقيقة ، ولكن المهم ان ينظر ويفكر وينفض عن نفسه غبـار الجمود . وليست الحقائق الانسانية ثابتة ، على الرغم من محاولة سقراط البحث عن « الحد الكلى » الذى يشملها ، لأنها أمور تخضع للقيمة ، وللمزاج ، واعتبـارات العصر والبيئة . ولذلك لم يدخل أرسطو الأخلاق فى جملة العلوم النظرية ، وعرف الفضيلة بأنها ملكة اختيار الوسط العـدل بين افراط وتفريط ، مثال ذلك هذا الفعل قد يكون شجاعة فى وقت ومكان ، وقد يكون تهورا أو جبنا فى وقت آخر ومكان آخر .

أما منهج أفلاطون الذى يتميز به فهو «الجدل» الذى يتم بين الشخص ونفسه ، فى داخل نفسه ، ومنه جدول صاعد نحو المثل حتى اذا بلغهـا الفيلسوف ، عاد مرة أخرى يطبقها على العـالم المحسوس .

صفوة القول : تتلخص الفلسفة السقراطية فى المبادىء الأربعة الآتية وهى : (١) التهكم والتوليد (٢) اعرف نفسك (٣) انزال الفلسفة من السماء الى الأرض . (٤) معرفة الحد الكلى . وهذا المبدأ الأخير هو الذى تدور عليه فلسفته الأخلاقية فى العبارة المشهورة : العلم هو الفضيلة .

وعلى الرغم من ان أفلاطون كان تلميذ سقراط، بل أبرز تلاميذه ، الا أنهما متميزان من حيث النشأة والمزاج . فسقراط شعبى ، من طبقـة العمال أو الصناع ، فقد قيل انه كان يتكسب من صناعة التماثيل ، وكان فقيرا ، يمشى حافى القدمين ، لايملك الا عباءة واحدة يلبسها صيفا وشتاء ، وكان الى ذلك دميم الخلقة ، قوى البنية، وهو محارب قوى ، لاتطيح الخمر برأسـه اذا أسرف فى الشراب ، ولم يكن مدمنا . أما أفلاطون فأرستقراطى النشأة ، من أبناء ملوك أثينا ، رقيق الحاشية ، جميل الصورة ، نحيل الجسم ، أدنى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الزهد بحكم بنيته ، متأنق الملبس ، تلعب السياسة بخياله ، ولذلك ظل طول حياته يفكر فى اصلاح الدولة عن طريق الحاكم الفيلسوف .

وبعد ، فان سقراط « مشكلة » ، وستظل هذه المشكلة بغير حل ، تتارجح بشأنها الأبحاث، ويعد البحث الذى كتبه تيلور — وافقته أم لم توافقه على ما جاء فيه من آراء — من أروع البحوث وأعمقها وأعظمها احاطة وأكثرها أصالة .

***

أوردنا فى العرض السابق نقدنا على المؤلف، وهو فى أساسه يتلخص فى تطرفه فى اعتبار الآراء الأفلاطونية وعلى رأسها نظرية المثل ، سقراطية . مما لانوافقه عليه كما لايوافقه جمهرة الباحثين .

وننتقل الى نقدنا عن الترجمة العربية ، نجمله فيما يلى :

(١) الكتاب جليل ، ومرجع هام فى فلسفة سقراط ، رأت وزارة التعليم العالى أن تترجمه فى سلسلة مترجماتها فى « الألف كتاب » ، وأجزلت العطاء للمترجم والمراجع لم تبخل عليهما بالمال ، ثم أصدرته فى هيئة هزيلة ورقا وطبعا ، مما لا يحفز القارىء على الاقبال عليه ، وتفتح نفسه لقبوله . وهذه ملاحظة عامة تنصرف الى معظم الكتب المطبوعة فى هذه السلسلة ، مما يفقدها قيمتها ، نرجو أن تتلافاها الوزارة ، فلا تبخل بالمال اليسير فى ناحية الطباعة الجيدة استكمالا للفائدة .

(٢) رسم الأسماء اليونانية بالعربية :

الكتاب حافل بالأسماء اليونانية ، وبعض هذه الأسماء أصبح متداولا معروفا فى اللغة العربية، جاريا ومستعملا فى الكتب التى تؤرخ للفلسفة اليونانية والأدب اليونانى . ويبدو أن المترجم أخذ بالرسم الموجود فى اللغة الانجليزية دون الرجوع الى الأصل اليونانى ، أو مراعاة طبيعة اللغة العربية . مثال ذلك :

(أ) أيسكينس ، هكذا يكتبه المترجم ، وهو بالانجليزية Aeschines . (ص ٣) . والنطق اليونانى هو « أيسخينس » بالخاء .

(ب) اكسينوفون Xenophon ، وردت كذلك ص ٣ ، وفى ص ١ وما بعدها «زينوفون» والرسم الصحيح طبقا لليونانية هو الأول ، ولكن الثانى أخف فى العربية . وكان ينبغى التوحيد ، والأخذ برسم واحد . والنطق الذى استخدمته فى كتابى «فجر الفلسفة اليونانية» ، وفى كتابى«أفلاطون». هو « زينوفون » . أما عند ترجمتى للفصل الخاص بهذا الشخص فى «تاريخ العلم» لسارطون ، فقد رأى المشرفون على الترجمة أن يكون«أكسينوفان»، ولم أوافقهم على ذلك .

(ج) أقريطون ، (اسم المحاورة المعروفة) ص ١٨ ، وفيها خطأ مطبعى نتجاوز عنه لسوء الطباعة اذ وردت أتريطون — وجاء فى ص ٢٦ « كريتون » ، اعتمادا على الرسم الانجليزى Crito . وكان ينبغى مسايرة للرسم الانجليزى ان يقال « كريتون » .

(د) القبيادس، وقد رسمها المترجم الكبيادس ص ٢٨ ، بالكاف ، وكذلك كلما وردت بعد ذلك.

(هـ) ديمتريوس الفاليرومى . Demetrius J. of Phalerum والنسبة فى العربية هى الفالرى ، لأن فاليروم تصريف أجنبى ليس الا . (ص ٢٩) . وذلك كما فعل المترجم (ص ٥٠) بالنسبة لتارنتوم

(و) هيبوقراط Hippocrates (ص ٤٥) ، والرسم المعروف منذ أيام العرب « أبقراط » .

(ز) ارسطو جزينوس التارنتى Aristoxenus of Tarentum (ص ٥٠) ، والتارنتى هى النسبة الصحيحة كما أشرنا عند الكلام عن الفالرى . أما ارسطوجزينوس فصوابها أرسطوكسينوس ، أو أرستوكسينوس .

(ح) شارميدس (ص ٢٣) Charmides . وفى ص ٦٧ ، خرميدس ، وهو الصواب .

(ط) ديمون (ص ٤٤) Damon ، دامون (ص ٦٨) وهو الصواب .

(ى) سوفوكليز (ص ٧٠) ، يوربيديز

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٦٨ ، ليزياس (ص ٦٧) ، وصحتها بالسين لا بالزاى ، كما رسمها (ص ٢٤) سونوكليس ، ريبدس ٠

ولسنا بمعرض احصاء كل الأسماء التى وردت ، وانما نود التنبيه على التزام رسم واحد، وأن يكون هذا الرسم هو الذى جرى العرف عليه فى الاستعمال ، وأن يكون أقرب الى النطق اليونانى ٠

(٣) ترجمة بعض المصطلحات :

(أ) مذكرات زينوفون Memorabilia ، وهو المصدر الثانى الرئيسى الذى نعتمد عليه فى معرفة آراء سقراط ٠ وقد ترجم هذا المصطلح تارة مذكرات ، وتارة أخرى ، وهو الأغلب ، (ذكريات)، على سبيل المثال مذكرات ص ٧٩ ، ذكريات ص ٨ ، ٣٤ ، ٨١ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، الخ ٠ والمذكرات أصح ٠

(ب) النفس Psyche ٠

ذكرنا من قبل أن عناية سقراط كانت البحث عن النفس ماهى ، وتدور محاورة فيدون بوجه خاص عن خلودها ٠ ولكن المترجم خلط بين « النفس » وبين « الروح » ، وهما باليونانية مختلفان ، وكذلك بالانجليزية ، فالنفس psyche أو soul والروح pneumma أو spirit . وقد عنى المؤلف بايراد المصطلح اليونانى وهو Psyche الى جانب soul ٠ ومن هذا المصطلح اليونانى اشتقت لفظة « البسيكولوجيا » للدلالة على « علم النفس » ، وذلك فى العصر الحاضر ٠ أما الروح فلم ترد فى الفلسفة اليونانية الا منذ الرواقيين ٠ وقد اختلف القدماء من فلاسفة اليونان فى أمر النفس ، فبعضهم ذهب الى أنها مادية ، فهى ماء أو نار أو هواء بحسب الطبيعيين الأولين ، أو هى نغم وتناسب عند فيثاغورس ، أو أنها مغايرة للبدن منفصلة عنه تحركه ، أو بها تحصل المعرفة كما هى الحال عند سقراط وافلاطون ، ومنها النفس الشهوانية والغضبية والعاقلة بحسب القسمة الثلاثية ٠ وقد اعترض أرسطو على هذه النظريات كلها، ونادى بأن النفس لاتعدو أن تكون « صورة » الجسم الحى ،



وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة، كما جاء فى تعريفه ٠ بعبارة أخرى النفس عند أرسطو هى مجموع الوظائف الحيوية ، من تغذ ونمو وتوليد وحس وحركة وتخيل وتفكير ، توجد بوجود الكائن الحى ، وتفنى بفنائه ٠ ولم يكن البحث فى أثناء القرنين السادس والخامس عن الروح ٠

(ج) كانت عناية سقراط ــ كما ذكرنا ــ هى البحث عن النفس وحقيقتها ، ولذلك قال قولته المشهورة « اعرف نفسك » ، ولم يقل « اعرف روحك » ٠ ان معرفة النفس حقيق بأن يوجه المرء فى الطريق المستقيم ، ويستطيع اذا انكشفت له حقيقتها أن يعرف الحقائق ، وأن يميز بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ٠ وهذا يطابق المبدأ الأخلاقى الذى اتخذه شعارا من أن العلم هو الفضيلة ٠

وبهذه المناسبة نشير الى أن المترجم أغفل نقل مصطلحين وردا باليونانية وكان يستطيع سؤال احد المختصين ، وهما σοφαίψυχαι ، وترسم بالحروف اللاتينيه كما ياتى Sosphai psychai أى حكماء النفس ، والثانى φιλοψυχία philopsychia ومعناها محب النفس ٠ (ص ١١٤) ٠

(د) hetairos ، التى تعنى المرافق أو « الصفى » ، هكذا (ص ٥٣) ٠ والمصطلح يونانى، عرفه العرب ، وترجموه بقولهم « صاحب » ، مثال ذلك انكسمندريس صاحب طاليس ، وانكسمانس صاحب انكسمندريس ٠ ولم يكن لسقراط تلاميذ بالمعنى المفهوم من لفظ التلميذ الذى يدرس على

معلم ، ولكن كان له «أصحاب» ، بدلا من مرافقين أو أصفياء ٠

(هـ) الفضيلة الوضيعة ، هكذا (ص ١٢٠)، وهى بالانجليزية Vulgar Virtue ٠ وفى هذه الترجمة تناقض ، لأنه لايمكن أن تكون الفضيلة بحكم فضلها وضيعة ، والفضائل متعددة ولكن قد يكون بعضها أفضل من بعض ، أو أكثر فضلا٠ والمقصود «الفضيلة العامية » ٠ وهى تلك التى اصطلح الناس عليها عرفا ، والتى يحترمها الناس فى الظاهر ، دون اعتماد على أساس من « العلم » أو المعرفة الصحيحة بماهيتها ٠

(و) ideai مذهب الصور ، أو الأنماط، هكذا (ص ١٣٩) ٠ والمصطلح الأجنبى مأخوذ عن اليونانية ، وقد تطور معنى idea فكان فى الأصل هو الشكل ، وأصبح عند سقراط وأفلاطون ، « المثال » ، وعند أرسطو « الصورة »٠ قد يقال تجوزا عن أفلاطون ان مذهبه هو«الصور»، ولكن الأصح والأدق هو « المثل » ، وهو الأشيع والأشهر ، منذ العرب حتى الآن ٠ وقد أورد المترجم مصطلح المثل بعد قليل ، ولكن أكثر استعماله هو الصور ٠ ولكنه أخطأ دون ريب حين قال ص (١٣٨) أن الشىء الجميل يساهم فى « فكرة » الجمال . والفكرة هنا تقابل idea فيكون المقصود المثال ، أو ان شاء الصورة ٠ أى أن الشىء الجميل « يشارك » فى مثال الجمال ٠ ولفظة « المشاركة » وهى المصطلح الفنى بدلا من قوله يساهم ٠ لأن نظرية أفلاطون فى المثل — أو نظرية سقراط بحسب تأويل تيلور — هى أن الأشياء المحسوسة توجد اما لأنها تشارك فى المثال ، أو لأنها تشبه المثال ٠ وقد كان أفلاطون يقول فى أول الأمر بالمشاركة ، ثم بانت له اعتراضات اضطر معها الى القول بالمشابهة ٠ ولما كان لفظ « المشاركة » وهو المصطلح الفنى غائبا عن ذهن المترجم ، فقد اضطر الى ترجمة هذا الفعل بقوله « تأخذ بنصيب » ، مثال ذلك ص ١٤٠ : «الأشياء التى تأخذ بنصيب من الصورة الكلية قد تكون كثيرة بغير حد » The things ‘which partake of the Form’ may be indefinitely many ...

والترجمة الصحيحة هى : الأشياء التى تشارك فى المثال ، قد تكون كثيرة بغير حد ...

وقفنا عند بعض المصطلحات ، وعند رسم بعض الأسماء ، ولم نتحدث عن ترجمة العبارات ، وهى فى جملتها مطابقة رشيقة ، لولا الانحراف الذى ذكرناه فى بعض المصطلحات ٠

الدكتور احمد فؤاد الأهوانى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



أزمة الإنسان الحديث

تأليف تشارلز فرانكل
ترجمة نقولا زيادة
مراجعة عبد الحميد ياسين

مؤسسة فرانكلين بالاشتراك مع مكتبة الحياة
٢٤٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٣٥٠ قرشا لبنانيا

انها ولاشك أزمة الانسان الأوربى الحديث ، الذى كاد يفقد الايمان بعقله ، وينكر ارادته وقدرته على اختيار مصيره .

ويبدو أنه ما من عصر اشتد فيه ايمان الانسان بعقله واعتداده بقوته حتى أعقبه عصر كانت الاستجابة فيه للعقل عكسية .

وحسبنا أن ننظر فى تاريخ الفكر الفلسفى على مداه الطويل فنجد تغلب التصوف والدين على الفكر اليونانى فى عصره الهلنستى المتأخر بعد أن توج العصر الكلاسيكى العقل ورفعه الى أعلى مكان. ويكاد ينطبق هذا الرأى على تاريخ الفلسفة الاسلامية ، اذ لم يغلب التصوف فيها الا بعد أن ظهرت الفلسفة العقلية مع الكندى والفارابى وابن سينا . وفى العصر الحديث نجد أن النزعة العقلية قد بدأت تسود أوربا منذ القرن السابع عشر ثم تبلورت فى حركة التنوير ، وكان ڤلتير من أشهر أعلامها .

واستطاعت الفلسفة العقلية أن توفق مع النزعة التجريبية عند الانجليز خاصة مع جون لوك ، وجيمس استيوارت مل ، واستمرت فى العصر الحديث مع برتر ندرسل .

والجانب السياسى لهذه الفلسفة العقلية ، هو ما يعرف اليوم بفلسفه اللبراليين أو فلاسفة المذهب الحر Liberalism وقد ذهبت فى المجال السياسى الى تأكيد الحريات المدنية وأخذت بالنظم البرلمانية متبعة فى ذلك نظرية توازن القوى .

أما فى المجال الاقتصادى فقد نادت بحرية العمل Laissez faire وان كانت قد تطورت فيما بعد بما أدخلت من نظم الضمانات الاجتماعية .

وقد تكون كتابات ڤلتير ولوك وجوان استيوارت مل من أهم الأسس الفلسفية للديمقراطية ، ولكنها لا تقوم مثلا مقام كتاب رأس المال بالنسبة للمركسية وقد يكون هذا النقص من الناحية النظرية مما يجعلها أكثر مرونة وأسهل تطورا مع أحداث التاريخ .

وقد ادعت الفلسفة اللبرالية اعتناقها للتفسير العقلى للحياة الانسانية ، وأخذها بنتائج العلوم

التجريبية ، ومن ثم قدرة الانسان على اختيار القيم التى توجه مصيره • وذهبت اللبرالية أيضا الى القول بانفصال الكنيسة عن الدولة وتبنت نزعة علمانية دنيوية •

ولكن الاستجابة العكسية لهذه الفلسفة اللبرالية بدأت تظهر وتقوى منذ نهاية القرن التاسع عشر ، كما نجد مثلا فى فلسفة شهوبنهور وبرجسون •

ورغم ما حققه العصر الحديث من معجزات للعلم والتكنولوجيا ، الا أن الثورة على الانسان المعاصر الذى سيطر بعقله وعلمه على الكون بدأت تشتد وتقوى اذ أنه رغم كل ذلك لم يحصل الانسان الحديث على السعادة ولا الطمأنينة ، ومازالت قيمه فى تخبط ووجوده مهدد بالقلق •

واشتدت صيحة فلاسفة الغرب ينذرون الانسان الغربى صاحب الحضارة وسيد العالم بأن أخطارا جسيمة تهدده وأنه يسير الى حتفه مالم يخفف من كبريائه ويعيد النظر الى قيمه التى يلتزم بها فى وجوده •

وما كانت هذه الدعوة لتعلو وتشتد مالم تكن الحضارة الغربية مهددة اليوم •

فالحركات التحررية فى أنحاء العالم المختلفة، وصحوة المارد الشرقى فى القارتين الآسيوية والأفريقية قد بدأت تظهر له أن حضارته ليست وحدها الحضارة المثلى وان قيمه مازالت رغم التقدم العلمى فى حاجة الى كثير من التفكير والتعديل •

والكتاب الذى نحن بصدده ليس فى الواقع الا دفاعا عن فلسفة اللبرالية وممثلة النزعة العقلية العلمية فى العالم الغربى •

ومؤلفه تشارلس فرنكل من أشهر أساتذة الفلسفة بالجامعات الأمريكية •

وقد عرض فيه للفلسفات التاريخية المعاصرة والمعارضة للمذهب اللبرالية • وقدم رده عليها ودفاعه عن منطق اللبرالية فى التاريخ الانسانى، وهو دفاع كما يقول عن قيمة العقل هبة بروميثيوس الى الانسان الذى به أسس الحضارة وارتقى بمختلف الفنون •

وقد عرض فرنكل لأربعة مذاهب فلسفية ، يحمل كل منها على أساس من أسس الفلسفة اللبرالية • ويبدأ بحملة الأستاذ چاك ماريتان Jacques Maritain الذى يعد هو واتيان جلسون من أهم ممثلى الفلسفة الكاثوليكية المعاصرة •

ويحمل ماريتان على الأساس التجريبى فى الأخلاق المعاصرة • وموجز نظريته فى التاريخ ، أن أى مجتمع بشرى يحتاج الى مجموعة من القيم المطلقة ذات المصدر الالهى الذى يعلو على الانسان • أى أن مصدر القيم لايجوز أن يرجع الى الانسان نفسه ، والا فانه سيكون طرفا وقاضيا فى نفس الوقت •



اذن لابد لكى يحتفظ المجتمع البشرى باستقراره وخضوعه للسلطة السياسية من وجود حقائق مطلقة يسلم بها الأفراد جميعا •

كذلك ضللت النزعة الانسانية الحديثة معنى التاريخ ، لأنه فى رأى ماريتان ، مالم يكن هناك غاية مطلقة خارجية تحكم بها على التاريخ فلن تعرف له معنى ، وهكذا انتهت النزعة الانسانية بالرجل الحديث الى نزعة عدمية •

ويرد المؤلف على چاك ماريتان ، فيقول ان الفلسفة الحديثة النسبية فى الأخلاق لاترفض المبادىء العامة للأخلاق ولكنها تبين الاختلاف فى تطبيق هذه المبادىء تبعا للظروف المختلفة للانسان •

أما رد مارتيان المبـــادىء الأولية والقيم المطلقة الى مصدر لاسبيل للعقل الانســانى أن يعرفه فينتهى الى نوع من الصوفية ، ذلك لأن اللبرالية تعتقد أن اختيار الانسان لمجموعة من القيم أمر يتعلق بحريته وارادته ولايمكنه أن يعتنق هذه القيم الا بعد أن يتحمل مسئوليتها خـيرها وشرها على السواء .

ولا يضير اللبرالية آن تتعرض القيم والمبادىء الأخلاقية للشك لأنها نسبية .

فتفسير الفلسفة اللبرالية لاتصاف مبادئهـا بالنسبة والشك يعنى أنها محدودة بالملاحظات والتجارب الانسانية ، وأنها قد تتغير فى المستقبل. ولكن ذلك لايعنى آنه ينتظر هدمها لا محالة مالم يوجد دليل واقعى ضدها ، وانمـــا هو مجرد احتمال منطقى فى المستقبل .

على أن أهم فلسفة مسيحية للتاريخ تعارض اللبرالية فى أمريكا اليوم ، هى فلسفة راينهولد نيبور Reinhold Niebuhr ، الذى يعد خير من يتكلم باسم الوجودية فى أمريكا . لكن فلسفة الوجودية تتخذ ذلك الاتجاه اللاهوتى الدينى الذى يعرف عند كبار مفكرى الوجودية المسيحية آمثال كيركجارد .

وقد تأثر نيبور بفكرة الخطيئة الأصلية . ويعنى مذهب الخطيئة أن وجود الشر فى العالم ليس مجرد نتيجة لنظم اجتماعية غير صالحــة أو الجهل البشرى ، ولكنه نتيجة لانحراف أساسى فى طبيعة النفس البشريه ذاتها .

وتتدخل الخطيئة الأصلية فى سير التاريخ البشرى ، حتى فى خير العوالم الممكن وجودها ، لابد للحياة البشرية من أن تنطوى على تناقض ثابت .

ذلك لأن الانسان مخلوق محدود وهو من ناحية أخرى غير محدود برغباته .

انه على حد قوله مخلوق وخالق لتاريخه فى نفس الوقت . والنتيجة أن يظل هناك احساس أساسى واضح فى حياة الناس هو الشعور بالقلق.

وليس هذا القلق خوفا من شىء محـدود ، كما أنه ليس ناجما عن أشياء معينة يمكن أن يعالج بأساليب عملية معينة ، انه شعور جميع الناس بأنهم لايدركون المطلق . وهذا القلق هو أيضا مصدر الاستعداد للخطيئة فى الانسان .

وعلى العموم يرى نيبور أن ثمة مطلقا يقع خارج التاريخ لايمكن للناس فهمـــه ، ولكنهم مضطرون الى الاعتراف بوجوده .

وينتهى نيبور الى مثل ما انتهى اليه ماريتان من اثبات وجود المطلق ، ولكنه يتفق مع النسبيين المحدثين فى أن هذا المطلق لايمكن بلوغه .

لذلك فهو يوجه النقد للبرالية لأنها اقترفت أكبر خطيئة فى محاولتها نكران الخطيئة ، ذلك حين اعتقدت بأن بامكان الانسان تحقيق الكمال البشرى دون حد وفى اعتقادها آيضا أن الانسان حين يتقدم فى المعرفة يتقدم أيضا فى الفضيلة ، وكذلك فقد اتخذ الانسان الحديث من العلم نبيا كاذبا .

ويمكن فى رأى المؤلف الرد على مذهب نيبور فى نقطتين رئيسيتين :

أولا : فى فهمه للحرية على أنهـــا حرية مطلقة لكنهـــا تصدم بوجود قوانين خارجية تقيدها .

وليس هذا الفهم صحيحا ، حيث أن وجود قوانين ســببية ضرورية فى الخـــارج لاترغم الانسان على شىء فتقضى على حريته . وانها تفهم حرية الانسان فى حدود معرفته بهذه القوانين .

وثانيا : اعتراض نيبور على النظرة اللبرالية للطبيعة الانسانية فى اعتقادها بصـــلاح هذه الطبيعة وقوله بالخطيئة الأصلية .

ويرجع مصدر اعتقاد اللبرالية فى صـــلاح الطبيعة الانســـانية الى الفيلســـوف الفرنسى كوندورسيه Condorcet فى مؤلفـــه « خلاصة العقل البشرى » .

وقد ذهب الى أن سعادة الانسان وفضيلته تزداد بمقدار تقدم المعرفة الانسانية .

ولا يعنى كوندرسيه تماما أنه كلما ارتقت معرفة الانسان كلما زاد نصيبه ضرورة من الأخلاق والسعادة ، ولكنه يعنى فى الواقع أن المعرفة تعطى الانسان قوة يمكن استعمالها فى الخير أو فى الشر ، ويرى أنه بهذه المعرفة يرفع من شأن الفضيلة ، لأنها تجعله أقدر على حماية نفسه من رذائل الآخرين .

والنقد الثالث للفلسفة اللبرالية ، أثاره الفيلسوف الاجتماعى كارل مانهايم Carl Manheim مؤلف كتاب العقائدية والمدينة الفاضلة Ideology and Utopia الذى ولد بهنغاريا ثم تولى استاذية علم الاجتماع بألمانيا ثم غادرها الى بريطانيا حيث أصبح أستاذا فى كلية لندن للعلوم الاقتصادية ، وظل بها الى حين وفاته عام ١٩٤٧ . وقد تأثر مانهايم بما يسمى بعلم اجتماع المعرفة . اذ ذهب الى أن التنظيم الاقتصادى والواقع الاجتماعى انما يحدوان آراء الناس وعلى ذلك فان آراءهم هى نتاج نظمهم الاجتماعية وليست نظمهم الاجتماعية نتاجا لآرائهم . وأكثر ما يصدق هذا الرأى يكون فى تفكير الناس فى العلوم الانسانية كالتاريخ والسياسة حتى لايمكن أن ينتهى فيهما الى أى حقيقة موضوعية .

وعلى ذلك ، فان الحقيقة فى الظواهر الانسانية لا يمكن أن تصل الى موضوعية الحقيقة فى الظواهر الاجتماعية .

ويمكن قبول رأى مانهايم ولكن الى حدما لأن معرفة الانسان سواء كانت فى العلوم الطبيعية أو الانسانية انما تعتمد على الانتقاء وعلى العوامل الذاتية المؤثرة فى المعرفة .

أما الأهواء التى يزيد تأثيرها فى العلوم الانسانية فيمكن عمل حسابها حتى نصل الى معرفة موضوعية فى التاريخ وفى غيره من العلوم الانسانية .

وعلى ذلك تذهب اللبرالية الى خلاف ما يذهب اليه مانهايم من وجود حقيقة موضوعية فى العلوم الانسانية يمكن التركيز عليها لا على آراء الأفراد الذين يلاحظونها .

وأخيرا يعرض فرنكل فى هذا الكتاب أهم ما عرف من نقد للنظرية اللبرالية المعاصرة فى التاريخ وهى نظرية توينبى Toynbee فى التحول التاريخى Trans-figuration of History وتعد دراسة توينبى للتاريخ بالنسبة للعصر الحالى بمثابة ما كان لمركس فى القرن التاسع عشر وفولتير فى القرن الثامن عشر ، ويكاد اتجاهه الخلقى والدينى يذكرنا بمدينة الله للقديس أغسطين .

وقد نظر توينبى الى الحضارات المختلفة التى توالت خلال التاريخ البشرى وحددها باحدى وعشرين حضارة . ثمان منها لاتزال قائمة ، ومن أهمها حضارة المجتمع الغربى .

ويذهب توينبى الى أن أهم ما يدفع الانسان الى بناء الحضارة ، وانتقاله من الحالة البدائية الى المستوى الراقى هو محاولة التحدى لمغالبة صعوبات حتى لو كلفته حياته ثمنا لذلك .

وعلى العموم فان الرأى القائل بأن الحضارة نتاج أحوال ملائمة فى تربة خصبة ومناخ معقول رأى خاطىء . ويزداد اهتمام توينبى بتفسير أسباب تدهور الحضارة وذبولها ويضع قانونا لهذا التدهور ويحاول أن يطبعه على حضارة الغرب فيضع يده على العلل التى تسربت الى كيانه الروحى والخلقى ويحاول وصف الدواء الذى يمكن به انقاذه من المصير المؤلم . ويركز توينبى اهتمامه على الدور التاريخى الذى يمكن أن تضطلع به فئة من الموهوبين الذين يستطيعون برؤاهم (الأثيرية) الخلاقة أن يقدموا الحلول للمشاكل التى تجابه عامة الناس .

ويرى كذلك أن أمل الانسانية هو فيما يمكن التمسك به من المثل الروحية التى جاءت بها الأديان جميعا وعادة تنظيم النظم السياسية

والاجتماعية بما يتفق والقيم الخلقية وبهذا وحده يمكن انقاذ الحضارة الغربية ٠

ويأخذ المؤلف على توينبى القيمة الزائدة التى وضعها فى نظرية تحدى الانسان ومقاومته للصعاب التى افترض أنها سبب نشأة الحضارة ٠

كذلك رأيه فى امكانية تطبيق قانون واحد على نمو الحضارات المختلفة وذبولها ومحاولته تفسير طريق الخلاص للحضارة الغربية بالرؤى الروحية والالهام ٠ ورغم نقد المؤلف لتوينبى فى النقطة الأخيرة الا أنه يبدو أن فى دعوة توينبى للغرب الالتزام بالمثل الأخلاقية فيه كثير من الصدق والأمانة من عالم له مواقف مشرفة من بحثه للتاريخ ٠

فقد بين توينبى فى دراسته لتاريخ العالم ما كان للعرب من حضارة زاهرة بفضل تمسكهم بالقيم الروحية الخالدة كما أنه القائل: ان اليهود قد فعلوا بالعرب ما قد فعلته النازية باليهود فى المانيا ، فضرب مثلا للروح العلمية الصادقة الخالصة من كل غرض أو هوى ٠

وأخيرا ليس لنا نقد على ماذهب اليه المؤلف من ضرورة التمسك بالعقل ، ومن الايمان بحرية الانسان فى اختيار مثله وتحديد مصيره ٠ كما اننا لانرى فى تقدم العقل البشرى فى العلم والتكنولوجيا أى خطر على مستقبلنا ، بل هو طريق شعبنا الى التحرر والى ملاقاة كل أنواع الصراع التى تعترض طريقنا نحو حياة أفضل ٠ ولنا كلمة عن فكرة الحرية التى عرضت فى هذا الكتاب فحريتنا فى مجتمعنا العربى الحديث ليست حرية الاستغلال والاحتكار فى الغرب الرأسمالى ، وانما حريتنا مرتبطة بوعينا لقوانين التطور الاجتماعى، ومن ثم امكانية التصرف فى حدود هذه القوانين ٠

من جهة أخرى فاننا لاننكر فى فلسفتنا التاريخية على الأفراد امكانية التأثير فى توجيه التطورات الاجتماعية والسياسية بما لهم من قدرات ومواهب ، ولكننا نضيف أيضا أهمية العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى توجيه سير التاريخ ٠

ويمكن فى النهاية أن نقول ان كتاب أزمة الانسان الحديث لتشارلز فرانكل ، كتاب جدير بالقراءة لما فيه من عرض لأحدث نظريات فلسفة التاريخ التى تسود العالم الغربى فى عصرنا الحالى ٠

كذلك يشكر للمترجم ما بذل من جهد فى سبيل ايضاح الأفكار والقضايا بأسلوب عربى جيد ولغة رصينة ٠

الدكتورة أميرة حلمى مطر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرح برناردشو

تأليف: الدكتور علي الراعي

مؤسسة التأليف والترجمة والطباعة والنشر ،
٤٢٢ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ٣٥ قرشا

أعود سعيدا للكتابة عن شو ، هذا الرجل الشامخ ، بمناسبة كتاب الصديق الدكتور علي الراعي عنه : «مسرح برناردشو» •• وهو أحسن كتاب ظهر باللغة العربية عن أحسن كاتب شغل العالم الحديث كله بآرائه وأفكاره وروحه الثورية العارمة ثلاثة أرباع قرن من الزمان .. ولن ينفك يشغله عصورا متتاليه .. بل أغلب الظن أن العالم لن ينسى شو ، ولن ينقطع عن الانشغال به وبآرائه •• لأن شو كان يهدم العالم الذي نعيش فيه ويسخر منه ويتهكم عليه ، ثم يحاول بعد ذلك أن يبني عالم المثل .. عالم السوبرمان •• وبناء عالم المثل والسوبرمان ليس عملا سهلا يمكن القيام به في جيل أو جيلين أو عشرة أجيال ، بل هو عمل يمكن أن يستغرق تاريخ الانسانية كله... ولعل الذين يتصورون أنه عمل يسير يمكن اتمامه عن طريق النظم والقوانين والاتفاقيات الدولية والتبشير الواسع لهذه النظم وتلك القوانين والاتفاقيات بين الشعوب أينما كانت •• لعل هؤلاء لا ينظرون الى المشكلة الا من خارجها حينما ينسون أن بناء عالم المثل والسوبرمان لا يمكن أن يقوم ويستقر الا اذا قام واستقر أولا في أعماق نفوس البشر وأشرق بنوره في أغوار قلوبهم ، بعد مغالبة غرائزهم وترويضها على الخير والمحبة والعدالة وتذوق الجمال ... ولعل انشغال شو بهذا كله قد استغرق حياته الفنية والأدبية كلها، وجعله يتلمس الوسائل المختلفة للقيام به ، و « الدعايه » له ... بالكتابة ، كتابة المقالات وفصول النقد ، والخطابة •• الخطابة في كل مكان..حتى على عربات اليد وفي ميدان بيكادللي .. ثم بتأليف الروايات والقصص .. ثم بالانصراف عن القصص ، تلك الوسيلة البطيئة ، الى كتابة المسرحيات ، وانشاء المسرح الجديد ، مسرح الدعاية والأفكار الملىء بالفكاهة الجديدة والسخريات اللاذعة .. المسرح الثائر على المسرح التقليدي .. مسرح شو .. الذي يحدثنا عنه الدكتور الراعي حديثه الأكاديمي الخصب العميق ، الحديث الذي يجب أن نتسلح له ، لكي نفهمه وننتفع بما فيه • بقراءة شو كله .. مقالاته وكتبه وقصصه ومسرحياته ومقدمات تلك المسرحيات ومؤخراتها، وملحقاتها المسرحية أيضا .. وبما ثار حول هذا كله في الصحافة العالمية من ألوان الجدل واللجاج والمناقشات الحامية ، وما ألف عنه من كتب طويلة ضافية ، وما علق به شو نفسه عن تلك الكتب ... فان لم نتسلح بهذا كله ضاع علينا جانب كبير مما في هذا الكتاب الثمين من مناقشات وتحليلات واستنتاجات يعرضها المؤلف الفاضل وهو يفترض أننا عليمون بشو كله .. بما كتبه وبما فكر فيه وبما يدعو اليه •• وبما كتبه الكاتبون والنقاد .. خصوما ومعجبين .. من فصول ومقالات وكتب.. والمؤلف معذور في ذلك .. فمادة الكتاب وضعت أصلا بالانجليزية لتكون رسالة لنيل درجة الدكتوراه .. ومن ثمة كانت مادة معدة للمناقشة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن مجلة الكتاب العربي إذ تنشر للأستاذ المرحوم درينى خشبة مقالة عن مسرح برنارد شو ليؤسفها أن تنعى لقرائها وفاة هذا الأستاذ الذى وقف حياته وقلمه لخدمة المسرح وثقافاته فى حدب ومثابرة نادرين ولسوف نجد فى كتبه ومقالاته عوضاً عما افتقدناه فيه من روح نابضة وثابة أسكنه الله فسيح جناته

أمام لجنة من الأساتذة الجامعيين الملمين بدقائق الموضوع .. بل الذين عرفوا شو ودرسوه وتولوا دراسته لطلابهم .. بل الذين درسوه وكتبوا عنه للعالم كله .. بل الذين قرأوا الرساله مقـــدما ونقدوا ما فيها وناقشوا كاتبها..العربى المصرى.. أمام جمهرة غالبيتها من المتأدبين الانجليز العارفين بشو... ثم تكون نتيجة ذلك كله الاعجاب بالكاتب المصرى والثناء عليه ومنحه درجة الدكتوراه .

ونحن نقول هذا لا لمجرد الثناء على المؤلف .. الذى يستحق الثناء الغزير .. ولكن لنفس هذا العمق الذى تتسم به الرسالة ، والذى يصـــل أحيانا، بل أحيانا كثيرة..الى حد الالغاز، ولاسيما على القارىء العربى الذى لم يتسلح لقراءة مسرح شو بقراءةشوكله..مقالاتهوكتبهورواياتهومسرحياته ومقدمات تلك المسرحيات ومؤخراتها وما علق به شو عليها وما رد به على النقاد وما ألفه المؤلفون عنه وما أرجف به المرجفون حوله وما دبجته أقلام المعجبين به عنه ... بل قراءة حياة شو ودراسة العصر الذى عاش فيـــه والالمام بمعالم العصر الفكتورى وما كان من الثورة الصناعية والمجتمع الصناعى .. ثم ظهور الحركات الاشـــتراكية المناهضة للرأسمالية واعتناق شو للمبـــادىء الاشتراكية وانخراطه فى صفوف الفابيين أولا ثم غلوه مع الغلاة فيما بعد ومعرفة من تتلمذ عليهم من كتاب العالم ودعاته وفلاسفته وفنانيه ... والمامه بتاريخ المسرح والمسرحية فى جميع العصور وتخيره لطرق التفكير التى توائم منهاجه فى بث فلسفته، ثم وقوفه على ألوان الصنعة المسرحية ، أو التكنيك المسرحى — المختلفة وتخيره منها ما يصلح لبث آرائه ولخلق المسرح الذهنى الجديد ...

القارىءالعربى مطالب بأن يلم بهذا كله قبل أن يقرأ (مسرح برناردشو) فى صـــورته التى أخرجها لنا المؤلف ... ولعل من التعسف مطالبته هو بشىء من هذا العبء تخفيفا عن القارىء العربى، أو رحمه بجمهور القراء من العرب ورفقـــا بهم أن ينهضوا بهذا العبء كله .. وهو عبء ثقيـــل فادح يكلفهم مالا طاقة لهم به ..لأن قراءة أثر واحد من آثار شو الأدبية .. أو المسرحية .. عبء ثقيل وحده .. ويشهد على هذا تلك الدراسات الجميلة الخصبة التى تناول بها على الراعى عددا من تلك الآثار ، وما عرضه علينا فى ثناياها من اختـــلاف آراء النقاد فى أمر شو .. بل اختلاف شو نفسه فى أمر نفسه .. وفى أمر هؤلاء النقاد .. وفى أمر مسرحياته ، أو بعض مسرحياته .. ولاسيما تلك المسرحيات التى كان يكتب لها مقدمات ضافية ، أو مؤخرات ضافيه .. أو يجعل لهـــا « ملاحق » مسرحية .. فتبدو بعض تلك المقدمات والمؤخرات والملاحق مما يحمل بعض التنـــاقض وماورد فى المسرحيات الأصلية ، أو مالا يتصل بصلة بما جاء فيها .

على أن الكتاب لو لم يكتب من أجل المهمة التى كتب من أجلها لكان حريا أن يشتمل على مقدمة واسعة يحيط فيها المؤلف بما لابد للقارىء العربى أن يحاط به من أنباء شو ومن تفصيلات حيـــاته

الأولى .. وهى تلك التفصيلات الطريفة التى رشحت صاحبها لاحتلال هذه المكانة الرفيعة السامقة التى احتلها...التفصيلات التى ربما كانت منبعا لمعظم ما اسفرت عنه حياة شو المستقبلة من نتائج وثمرات • وقد كانت هذه المقدمة كفيلة بان تريح القارىء من تجشم الرجوع الى الاصول الأدبية ، كتبا كانت هذه الأصول أو بحوثا أو مسرحيات ، والتى لا يمكن أن تفهم معظم مادة الكتاب الا اذا كان القارىء على المام ، أو حتى شبه المام بها .. وكنا بهذا نضمن ألا ينصرف كثير من القراء عن مواصلة قراءته لأنهم يجدون أنفسهم أمام ما يشبه المجهولات ، لقلة احاطتهم سلفا بالأصول التى يتحدث عنها هذا الكتاب الرائع •

***

والكتاب بحالته تلك يتألف من مقدمة خاطفة لاتزيد على صفحة وربع الصفحة ... وكنا نتمنى لو كانت مائة صفحة أو مائتى صفحة .. ثم من قسمين ، يتحدث المؤلف فى القسم الأول منهما عن مصادر شو التكنيكية .. وبالأحرى ، مصادر صنعته المسرحية ... كما يتحدث فى القسم الثانى عن مصادره الفكرية .. وتأتى بعد ذلك خاتمة قصيرة أيضا .. كنا نتمنى لو استطالت استطالة تجعلها أشبه بالتطبيق العام ، وتلخيص ما قدمه المؤلف حتى يحيى فى ذاكرة القارىء ما أوشك أن ينساه بطول مدة القراءة .. ويلى ذلك ثبت طويل حافل بالمصادر •

والقسم الاول يتكون من خمسه فصول ، يتناول الفصل الأول منها « شو الروائى وكاتب النشرات » وينتهى فيه المؤلف الى أن شو حينما انتقل من كتابة الروايات الى كتابة المسرحيات لم تتغير موضوعاته ولا نظراته ، وانما تغير اللون الأدبى الذى اتخذه سبيلا للتعبير عن هذه الموضوعات والنظرات ... وهذا الحكم السريع برغم ما ينطوى عليه من حق يكاد يشتم منه ما يقضى على شو بالجمود •• وبأنه لم يكن كاتبا متطورا .. وأنه ظل على آراء واحدة وكاتب موضوعات واحدة من ستين أو سبعين عاما .. فكيف ؟ والمعروف من حياة شو وكتبه أنه بدأ فنانا ثم انتقل من عالم الفن الى عالم الفكر فغرق فيه الى أم رأسه ، وأنه كان اشتراكيا فابيا مسالما فى اول الأمر ثم غلا فى اشتراكيته غلوا شديدا حتى كاد أن يبذ الشيوعيين .. وبالرغم من هذا كله فقد كان علماء الاشتراكية يضحكون من آراء شو فى الاشتراكية ، ويسخرون منها ، كما كان هو يبادلهم سخرية بسخرية ... فكيف أسرع المؤلف فقرر هذا الجمود وهو يورد مايبغيه فى صفحة ١٨ ؟

ويتناول المؤلف بالتحليل روايات شو الخمس •• التى لم تظفر احداها بأى قدر من النجاح .. فيبدع كل الابداع ، ويظهرنا على الجراثيم الدرامية التى تشتمل عليها تلك الروايات.. ثم يوازن بين كثير من المواقف والشخصيات فى هذه الروايات وبين مثيلاتها فى المسرحيات التى كتبها شو بعد ذلك، فيشبع ويمتع..لكنه، فى تيار الحديث الجارف، يفاجئنا ببعض التعبيرات السريعة التى لم نفهم ماذا يقصد منها ... ومن ذلك قوله فى أول صفحة من هذا الفصل : « ان الصنعة التى انتهى اليها برنارد شو بعد رواياته الخمس كانت هى نفسها نتيجة تفاعل مثلث قام بين موضوعات رواياته ... » ثم نبحث عما هو هذا التفاعل المثلث فلا نجد له تفسيرا •

ومع اعترافنا باختلاف وجهات النظر فى تقرير مسميات للمصطلحات المسرحية، أو الدرامية بمعنى أصح — باللغة العربية .. فاننا كنا نطيل التوقف عند بعض هذه المصطلحات التى وضعها السيد المؤلف وبنى عليها استنتاجات كثيرة .. ومن ذلك مثلا هذه « النهاية الباردة غير المتوقعة» أو ال Studied Onti-Climax ، والذى يجمع عليه علماء المسرح أن ال anti Climax ليست نهاية ولكنها عند سوبل Sobel « مشهد أو حادث بادى الغثاثة أو أقل أهمية من الذروة السابقة » ، وعند بومان وبول Bawman & Pall شىء يقرب من هذا ، أو « نقطة فى قطعة مسرحية تأتى بعد الذروة قد تؤكد معنى هذه الذروة بقدر من التوتر أقل مما اشتملت عليه الذروة ، أو لمجرد التقليل من أثر الذروة الى حد السخف والغثاثة أحيانا » ... ولا يخرج معنى ال Qmti - Climax عن هذا فى معظم المصادر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المهمة التى أوردها السيد المؤلف فى نهاية الكتاب ... وعلى هذا يقع التجوز فيما ذهب اليه من أمر هذا المصطلح .. ثم التجوز فى التطبيق أيضا .

ومن ذلك أيضا قوله : « المسرحيه الروائية ذات المنشور » فى مقابل : The pamphlet-navel dyoma ... فالمنشور هنا كلمة مضلله وان تكن مما تعنيه كلمة Pomphlet التى تعنى هنا الدعاية ، أو الدعاوة ٠٠ وكان الأفضل أن يقال : « مسرحية الدعاية الروائية » ٠٠ وكان هذا يفيد المعنى العام المقصود ويفيد التطبيق ويجلوه ٠

ومن هذا أيضا ترجمة لفظة Ftlis بـ«أضداد» فى التعليق على مسرحية « الاشتراكى غير الاجتماعى » وقول السيد المؤلف «ان الشخصيات الأخرى فى هذه المسرحيه تصبح ازاء شخصية تريفيوس مجرد أضداد Foils تتحدد بالمقارنة بها هذه الشخصية » .. قول فيه بعض التجوز على المعنى المسرحى المقصود من لفظة Folis التى تعنى «الندية» فى الشخصية أو الشخصيات التى تقابل شخصية البطل .. وعلى ضوء هذه الندية- وليس الضدية - تتحدد شخصية تريفيوس فى المسرحية المذكورة ٠

ومن ذلك - وان يكن هذا فى الفصل الثانى من القسم الاول - تعريف السيد المؤلف للفظة بيرليسك burlesque من أنه : «نوع من التاليف الشعرى أو الروائى أو المسرحى يهدف الى السخرية من الأفراد والعادات والأنظمة عن طريق محاكاتها جميعا بطريقة تبرز فيها المقارنة الشديدة بين سخافة الموضوع وتفاهته من جهة ، وبين الطريقة التمجيدية التى يتناول بها الموضوع من جهة أخرى ، أو بين جدية الموضوع وسموه وبين الطريقة النزقة التى يتناول بها » ٠٠ والمعنى الذى تضمنه هذا التعريف فيه كثير مما تعنيه اللفظه ، الا أن التاريخ المسرحى لهذه الكلمة ، كما أورده قاموس اللغة المسرحية (بومان وبول) وغيره من المصادر يقطع بأن الكلمة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت تعنى : «تمثيلية تحاكى محاكاة هزلية احدى المسرحيات (أو أى لون آخر من ألوان التاليف) وذلك بالتمثيل الهزلى ، ثم اخذت معنى جديدا فى القرن التاسع عشر ، أو القرن الذى لمع فى أواخره نجم برناردشو المسرحى ، فأصبحت تعنى هجائية تمثيلية أخف مادة وأقل فى صبغتها الأدبية ، وأكثر تناقضا ومنافاة للمعقول ... ثم أصبحت تعنى فى القرن العشرين أى حفلة أو عرض ترفيهى هازل يصور بطريق المقابلة والتباين الشديد الصارخ مضامين الأشياء الجدية ومحتوياتها وشخصياتها ومقابلتها بأضدادها والاستعانة على ذلك بالغناء والرقص والسخرية فى كثير من الأحيان بالشخصيات العامة البارزة والأحداث الجارية .. وفى هذا تقترب البيرليسك من البيرليتا burlatta ومن الاكسترا ڤاجانزا extrravajanza .. كما تعنى أيضا ، فى القرنين التاسع عشر والعشرين عرضا هزليا هابطا تظهر فيه الفتيات متجردات أو شبه متجردات بحيث يتبادلن مع الممثلين الفكاهات البذيئة ويتغنين الأغانى الرخيصة ويقمن بالرقص المفضوح المثير والأعمال المخجلة .. ومن معانيها أيضا الكاريكاتير الفاضح الذى يقلب مافى بعض الشخصيات الفاضلة من محامد رذائل مضحكة ... الخ ...

وهذه التعريفات كلها ظهرت فى كثير من مسرحيات شو .. سيد كتاب المسرح الساخرين الذين لم يقتصر تشهيرهم على الأفراد فقط بل على الأمة الانجليزية كلها حكومة وشعبا ٠

ولايفوتنا أن نشير الى ابداع السيد المؤلف فيما علل به مقدمات ومؤخرات وتوجيهات شو المسرحية فى هذا الفصل الأول مما يجب أن يعيه القراء والمخرجون والدارسون ليفهموا الكاتب العظيم على حقيقته ٠

والفصل الثانى يتناول استخدام شو للبيرليسك والفارس والميلودراما ويبين أسباب استخدامه لكل منها والمزج بينها أحيانا أو بين اثنين منها .. وكيف كان يستعين بالبيرليسك على السخرية بالمسرحية ذات الشعر المرسل فى عصر اليزابث والسخرية أيضا بالميلودراما الحديثة وتسخيفها .. ويضرب المؤلف على ذلك أمثالا فذة من مسرحيات شو ... وان كان لنا اعتراض على هذه الأمثال فهو أن ترجمتها الى العربيه .. وان كانت باللغة الدارجه .. تفقدها قدرة القارىء على تطبيق أصول صنعة شو التى لا يمكن ان

تتجلى الا فى لغتها الأصلية لما لها من علاقة بأصول الشعر الاليزابيثى المرسل وأوزانه وموسيقاه مما يضيع كله فى الترجمة (انظر ص ٩٣) .

وفى هذا الفصل أيضا بيان جميل لثورة شو على المسرحية ذات الحبكة الجيدة .. وكيف أن ثورته هذه كانت سببا فى كثير من الأحيان فى ضعف بناء عقد مسرحياته .

وكم كنت أود لابننا الأستاذ مخرج ملهاة كانديدا أن يقرأ ما كتبه المؤلف عن هذه الملهاة ليستعين بما كتبه فى اخراجها ، وليتلافى بعض ماند عن فهمه فيها حين غاب عنه استغلال عنصرى الفارسى والرومانتية استغلالا كان خليقا أن يثير عواصف من الضحك يعتمد عليها نجاح المسرحية.

ويتحدث المؤلف فى الفصل الثالث عن أثر ابسن التكنيكى فى شو .. ويبين كيف ان شو ، فى انجلترا ، ورث نفس الموقف الذى وجد ابسن نفسه فيه فى النورويج .. كما أنه استجاب لموقفه هذا بمثل ما استجاب ابسن له ... ويعرض علينا آراء شو فى أستاذه ابسن ، وما بينه فى بحثه عنه « جوهر الابسنيه » من اقترابه منه أو بعده عنه ... ثم يقارن المؤلف بين كثير من مسرحيات ابسن و ومسرحيات شو .. ولاسيما بين « بيت الدميه » و « كانديدا » ليظهرنا على فرق بينهما وصلة الأستاذ بالتلميذ وفلسفة كل منهما ازاء الثورة الاجتماعية التى كان ينشدها.. مما لاسبيل الى تلخيصه هنا ، وما لابد من الرجوع الى تفصيله والاستمتاع به .

وفى الفصل الرابع يطالعنا المؤلف بثروة مسرحية لم يسبقه اليها أحد فيما كتب عن شو باللغة العربية .. أنه يتحدث عن تأثر شو بالكاتب الانجليزى المسرحى و.س. جيلبرت من كتاب العصر الفكتورى المرموقين .. الكاتب « ذو الاسلوب الرشيق والفكاهه العذبه والفكرة الأنيقة وصاحب الأوبرات الخفيفه التى كان يضع موسيقاها صديقه الموسيقار ساليفان ، والتى لاتزال تمثل حتى اليوم » ولقد كان المعروف أن شو ورث هذا كله عن مواطنه آوسكار ويلد ، فاذا جيلبرت هو النبع الأول الذى استقى منه شو وظل متأثرا به ... ونعود الى ما ذكرناه عن البرليسك والبيرليتا والاكسترا ڤاجانزا فنرى السيد المؤلف يستدرك هذا كله فى حديثه عما ورثه شو من صنعة جيلبرت ... « والحقيقة أن دين شو لجيلبرت دين عظيم..لقد كتب شو بعضا من مسرحياته بطريقة تسلكها فى عداد الاوبرا كوميك على الأسلوب الجيلبرتى .. وهو الى هذا قد تبنى عنصرين هامين من عناصر الاسلوب الدرامى الخاص بجيلبرت ، الا وهما عنصرا « الحكاية الخرافية » والأكسترا ڤاجانزا .. والعنصر الأول نجده ممثلا فى مسرحيتى «الانسان والسلاح» و « بيجماليون » والثانى فى « عربة التفاح » التى يسميها شو : « اكسترا ڤاجانزا سياسية » .

ألا ما أعظم هذا الفصل فى كتاب على الراعى!

ثم ينتقل فى الفصل الخامس والأخير من القسم التكنيكى الى الحديث عن شو وكوميديا النقد الاجتماعى ، ولنرى الى أى حد تأثر شو فى هذا الميدان بغيره من الكتاب الاجتماعيين بالرغم مما اختص هو به من ميزات وسمات تكاد تجعله فارس هذه الحلبة ... ولنرى كيف كان شو يتأثر بأرستوفانز ويأخذ بمقاييس الوحدة الفنية فى ملاهيه أكثر مما يأخذ بمقاييس الوحدة عند سوفوكلس ... عاقدا هنا مقارنات جيدة بين فن جيلبرت وفن أرستوفانز ، وبينهما وبين شو.. وميله الى كثرة النقاش بل اللجاج فى ملاهيه بما يميزه عن جميع من تأثر بهم وأخذ عنهم . غير ناس أن يشير الى أئمة كتاب الملهاة الاجتماعيه ، كموليير مثلا ، ملخصا لنا كتاب أو جستان هامون الناقد الفرنسى فى دراسته المقارنة بين أعمال شو وأعمال موليير .. ثم ما كتبه أندريه مورو عن أعمال شو .. وما كتبه غير هؤلاء جميعا عن الكاتب الساخر الاجتماعى العملاق .. فيجيد اجادة تامة .

***

أما القسم الثانى من الكتاب ، وهو القسم الخاص بأفكار شو ، فهو بالرغم من قصره ، وبالرغم من أننا نتمنى أن يكون أضعاف الحجم الذى ظهر فيه ، فهو قسم حافل يتحدث فى الفصل الأول منه — أى الفصل السادس من الكتاب

كله – عن مدى تأثر شو فى أفكاره بعامة بكاتبين منْ روسيا هما تولستوى وتشيخوف .. ويقول بما قاله بعض دارسى شو ، ان الكاتب الأيرلندى قد أخذ، باعترافه فى كتاب بعث به الى تولستوى، فكرته عن الدين وسخريته به أحيانا ، ثم ايمانه بتلك القوى الخافية المبهمة المستورة التى تكمن وراء أرواحنا .. عن تولستوى ، وذلك عندما قرأ مسرحيته سلطان الظلام .. التى تأثر ببطلهـــا نكيتا فأعاد تصـــويره وهو يكتب مسرحيتـــه «بلانكو بوسنيت» .. ومسرحيته «تلميذ الشيطان».

ونحن لا نعارض فى هذا بعد أن اعترف به شو نفسه .. على أننا لا يمكن أن نغض الطرف عن تأثر شو بأستاذه ابسن فى كل من صـــنعته وأفكاره..وبخاصة فى موقفه من الدين والمعتقدات العامة .. ولانحسب أن أحدا أصبح يجهل تأثر ابسن نفسه بموقف زعيم الوجودية كير كجارد من الدين وظهور هذا التأثر فى أكثر من مسرحية لابسن ... الذى آلى على نفسه أن يعيد التفكير فى كل ما غرسه أبواه فى نفسه من أمور الدين، فاذا اطمأن الى شىء منه أخذ به ، والا ... وهـــذا هو ما نقرؤه على لسان براندونورا وغيرهما من أبطال ابسن .. وهو نفسه مافعله شو ، وأنطق به ألسنة كثير من أبطاله ...

والكاتب الروسى الآخر الذى تأثر به شو هو تشيخوف العظيم الذى اختمرت فى رأسه ، بقدر ما اختمرت فى أدبه بذور الثورة على هذا المجتمع الفاسد المتعفن الذى كان يحيا فى روسيا كما كان يحيا المجتمع الفكتورى – البورجوازى – فى بريطانيا ... ومناط تأثر شو بتشيخوف هو الخلط فى واقعيته القريبة من المذهب الطبيعى بكثير من عناصر المذهب الرمزى .. ناهجـــا فى ذلك ، هو وتشيخوف ، نهج ابسن فى مرحلته الوسطى ، « مرتفعا فوق المذهب الواقعى الصرف بادخال مايسميه آلا رديس نيكول « الفانتازيا الخيالية » تارة و « العناصر فوق الواقعية تارة أخرى » .. بحيث يجعل شو شخصـــياته تقول « ليس فقط مالا تستطيع اكراه نفسها على قوله فى الحياة الواقعة – حتى بفرض أنها تفهم نفسها فهما كافيا .. بل تقول الحقيقة العارية ، مقـــدمة بطريقة علمية .. جامعا بهذا بين أقسى درجات الافتعال وأعمق درجات الطبيعية » ... وهذه الى حدما هى طريقة جيلبرت .. وهى احدى وسائل تعميق المسرحية الواقعيه ... وفى رأى ت·س· اليوت أن الشاعر فى شو قد ولد ميتا ... وهذا حق .. كما يقول المؤلف الذى يعتقد أن شـــو أشد قربا من تشيخوف من روح الكوميديا .. وهو يعقد مقارنة بديعة بين مسرحيتى « بستان الكراز » لتشيخوف و « منزل القلوب المحطمة » لشو ، ليظهرنا على مدى تأثر شـــو بالكاتب الروسى .. ذلك التأثر الذى يجاوز السطح .

وفى الفصل السابع يعود المؤلف الى ابسن ليحدثنا عن أثره التكنيكى فى شو .. وعـــدم انخداع شو نفسه بتفضيل بعض النقاد اياه على ابسن وجهره بأن ابسن أديب ومفكر ضـــخم لايدانيه فى أدبه وتفكيره حتى شيكسبير الذى يبدو قزما اذا ما قورن بأبسن ...

والفصل ممتع حقا .. وان لم نجار شـــو فيما ذهب اليه فيه من موقفه من شيكسبير الذى لن يستطيع أحـــد هدمه .. ولا نسيان عشرين على الأقل من مسرحياته الكبيرة الخالدة .. فى الوقت الذى أخذ الكثير من مسرحيات ابســـن يستهلك باستهلاك القضايا والمشـــكلات التى تناولتها ·

أما الفصل الأخير فيتحدث عن أثر أفكـــار شو على فنه .. وينقل المؤلف عن اريك بنتـــلى – الناقد الأمريكى قوله : « ان شو فنـــان فى المحل الأول .. ومسرحياته لا يمكن أن تنفصل عن أفكاره ، ذلك أن شو ، ومثله فى هذا مثل كل فنان أديب ، انما هو من ذلك الطراز من الفنانين الذى يسميه فلوبير .. « مثلث الفكر » ، أى الفنان الذى يفكر بخياله على عدة مستويات فى وقت واحد · وبالرغم من أنه يتخذ مادة له موضوعات مجردة مثل الاقتصاد ، فان علاجـــه لهذه الموضوعات ليس مجردا بدوره .. انه علاج فنى .. ان شو لايبشرنا فحسب بفضائل العاطفة، بوصفه فيلسوف « اللامعقولية » . بل انه كذلك يجسد العاطفة أمامنا كما يفعل الفنـــان · وبين أعمق ما يجسده لنا شو منْ أحاسيس شـــعور

واضح بفشل تلك « الافكار » التى تعتبر عادة جماع شو نفسه » .

والظاهر أن خطأ مطبعيا قد وقع فى الاشارة الى المصدر الذى نقل عنه المؤلف هذا الكلام عن بنتلى ، فقد أورد أن المصدر مذكور بالصفحتين (٢٠ و ٢١) فاذا المصدر المذكور ثمة مقدمة شو لمسرحياته الثلاث للطهريين .. وقد رجعت الى كتاب بنتلى المنشور أول مانشر سنه ١٩٤٦(وليس سنة ١٩٤٧) واسمه « الكاتب المسرحى بوصفه مفكرا The Playwrijht as Thinker فلم أجد تلك الفقرة فى الفصول الثمينة التى استعان بها السيد المؤلف من غير شك ... وقد وقفت أيضا عند عبارة فلوبير التى يصف فيها الفنان بأنه شخص « مثلث الفكر » وأردت أن أفهم ماذا يعنى بمثلث الفكر هذه فلم أجد التعريف — الذى صدمنى فى أول الكتاب .. يلقى ضوءا على ما يقصده فلوبير .. لأن قوله : « أى الفنان الذى يفكر بخياله على عدة مستويات فى وقت واحد » لا يمكن أن يجعل الانسان مثلث التفكير ! ثم مامعنى أن يكون شو فيلسوف « اللامعقولية ! »

ولذلك رجحت أن خطأ مطبعيا لابد أن يكون قد وقع

والفصل بعد هذا فصل طيب .. وان كنت أحب لو أن المؤلف ناقش لنا أفكار .. شو نفسها ولم يكتف بمناقشة آثارها فى فن شو .. لأن مسرح شو مسرح أفكار قبل أن يكون مسرح تكنيك .

***

وبعد ، فقد أوشكت الصفحات التى تحددها هذه المجلة لكل مقال على الانتهاء ، ولذلك اختصر مضطرا ، واعتذر عما يلحظه القراء من هذا الاختصار فى عرض جوانب الكتاب ، لاقول اننا كنا نود من على الراعى أن يضاعف لنا من حجم كتابه لتتضاعف متعتنا به ، واننا ، كما وددنا لو أنه كتب لنا مقدمة طويلة مستفيضة يمهد بها لشو ، كنا نود ألا يفوته عقد خاتمة طويلة مستفيضة يعرض لنا فيها تأثير شو فى كتاب عصره والعصور التاليه .. أولئك الذين يسميهم مؤرخو المسرح والمسرحية : تلاميذه وزملاءه فى السفر Disciples & Felor-travellers

وثمة ملاحظات عارضة .. أو .. قشرية .. كنت أفضل أن يبرأ منها هذا الكتاب الثمين الذى لا اقول الا أن العجلة فى نقله الى العربية هو الذى أوقع الصديق المؤلف فيها .. وهى هنات من التعبير الذى تعيبه اللكنة أحيانا .. وبغير قصد طبعا .. وذلك بفعل الترجمة ...

كذلك كنا نفضل أن يثبت المؤلف أسماء مسرحيات شو بلغتها الأصلية وألا يكتفى بترجمتها العربية التى كثيرا ما تكون ترجمة مضللة لاتؤدى معنى الاسم الأصلى ... كما كنا نود لو وضع المؤلف فهرسا مفصلا لرؤوس الموضوعات المهمة التى يوردها فى كل فصل ... ووضع فهرس أبجدى بآخر الكتاب ، شأن كل المؤلفات الاكاديمية ، تيسيرا للباحثين الذين يهمهم الكتاب قبل غيرهم من عامة القراء .

وختاما ...

تهنئات حارة ومن صميم القلب لعلى الراعى.

دريني خشبة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



تاريخ الأدب العربي

الجزء الأول

العصر الجاهلي

تأليف : الدكتور شوقي ضيف

دار المعارف، ٤٣٢ ص ١٧ × ٢٤ سم
ث ٨٠ قرشا

هذا جزء من أجزاء سوف تؤرخ للأدب العربى منذ كان أدب عربى الى عصرنا الحديث ، وسوف يبسطه مؤلفه على عصور خمسة :

١ - العصر الجاهلى ، وينتظم ماسبق الاسلام .

٢ - العصر الاسلامى ، وينتظم الحقبة التى امتدت منذ ظهور الاسلام الى سقوط الدولة الأموية (سنة ١٣٣ هـ) .

٣ - العصر الثالث ، وهذا سوف يقسمه المؤلف الى قسمين :

أ - القسم الأول ، وينتظم العهد العباسى الأول الذى ينتهى بانتهاء خلافة الواثق سنة ٢٣٢ هـ .

ب - القسم الثانى ، وينتظم العهد العباسى الثانى الذى ينتهى باستيلاء البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ هـ .

٤ - العصر الرابع ، وهو عصر الدول والامارات الذى ينتهى بظهور العصر الحديث .

٥ - العصر الخامس ، وهو العصر الحديث .

ويلاحظ أن المؤلف لم يربط العصر الرابع بنهاية تكون فى الوقت عينه بداية للعصر الحديث.

ولقد أشار المؤلف (ص ١٥) الى أنه سوف يؤرخ للعصرين الرابع والخامس ناظرا للاقاليم، وعلى هذا فسوف يجعل لكل اقليم جزءا خاصا به .

والكتاب الذى بين أيدينا هو الجزء الاول من هذه السلسلة التى وعد المؤلف وصلها ، وهو يؤرخ للعصر الجاهلى ويقع فى نحو من ثلاثين وأربعمائة صفحة من الحجم الكبير .

وقدم له المؤلف بمقدمة قصيرة لاتتم الصفحتين أشار فيها الى من سبق بالتاليف فى هذا الباب وخص بالذكر بروكلمان فى كتابة تاريخ الأدب العربى . غير أنه أخذ عليه استقصاءه الواسع للحياة الفكرية الى جانب الحياة الأدبية وتتبع الآثار المطبوعة والمخطوطة فى مشارق الأرض ومغاربها الشىء الذى فوت عليه - أعنى بروكلمان - العناية ببحث الظواهر الادبية فى عصورها المختلفة كما فوت عليه بحث الشخصيات الأدبية بحثا تاريخيا نقديا تحليليا .

وانتهى المؤلف من هذا الى النهج الذى رسمه للتأريخ للأدب العربى وأن هذا النوع من التأليف فى حاجة ماسة الى طائفة من الأجزاء المبسوطة تناقش عصوره من الجاهلية الى عصرنا الحاضر ، كما تناقش الأدباء فى تلك العصور مناقشة مسهبة لتكشف بذلك كل عصر انكشافا تاما بيئة ورجالا .

وعلى هذا المنهج الذى رسمه المؤلف لنفسه مضى المؤلف فى كتابه هذا ، فمهد بكلمة عن معنى كلمة أدب ملخصا ماقيل فى ايجاز ، كما مهد

بكلمة عن مدلول تاريخ الادب • وفيها يعود الى ما أخذه على بروكلمان وجورجي زيدان من بعده من تلك النظرة التوسعية التى طغى فيها التأريخ للحياة الفكرية عامة على التأريخ للحياة الأدبية خاصة ، عارضا بعد ذلك رأى سانت بيف Sainta Beave القائل بالعناية بدراسات الأدباء وتعرف حياتهم المادية والمعنوية •

ثم رأى « تين » الذى يبنى تأريخه للأدب على الجنس والزمان والمكان وأثر هذه العوامل الثلاثة فى أدب الأديب •

وأخيرا رأى برونتيير القائل بأن الفنون الادبية مثل الكائنات الحية تخضع للتطور •

وانتهى المؤلف بعد هذا العرض الى تأكيد منهجه فى موسوعته الأدبية فيقول :

وسنحاول أن نؤرخ فى أجزاء هذا الكتاب للأدب العربى بمعناه الخاص – يريد الاقتصار على الحياة الأدبية لا الاسترسال فى الحياة الفكرية – مفيدين من هذه المناهج المختلفة فى دراسة الأدب وأعلامه وآثاره فنقف عند الجنس والوسط الزمانى والمكانى الذى نشأ فيه الأديب ولكن دون أن نبطل فكرة الشخصية الأدبية والمواهب الذاتية التى أفسح لها « سانت بيف » فى دراساته ، وكذلك لن نبطل نظرية تطور النوع الأدبى (ص ٦٣) •

ثم عقب على هذا التمهيد بتقسيم تأريخ الأدب على تلك العصور التى قدمناها لك•وفصول الكتاب بعد هذا تشمل :

١ – فصلا أول – عن الجزيرة العربية وتاريخها القديم ، ينتظم : صفة الجزيرة العربية ، الساميين ، العرب الجنوبيين ، العرب الشماليين ، النقوش ، نشأة الكتابة العربية • ويضم هذا الفصل احدى وعشرين صفحة •

٢ – فصلا ثانيا – عن العصر الجاهلى ، وينتظم ، تحديد العصر ، الامارات العربية فى الشمال (الغساسنة – المناذرة – كندة)، مكة وغيرها من مدن الحجاز ، القبائل البدوية ، الحروب والأيام – ويضم هذا الفصل تسعا وعشرين صفحة .

٣ – فصلا ثالثا – عن الحياة الجاهلية ، ينتظم: الأحوال الاجتماعية ، المعيشة والمعارف ، الدين ، اليهودية والنصرانية • ويضم الفصل ثماني وثلاثين صفحة •

٤ – فصلا رابعا – عن اللغة العربية ، ينتظم : العناصر السامية القديمة ، اللهجات العربية القديمة، نشوء الفصحى ، اللهجات الجاهلية ، سيادة اللهجة القرشية•ويضم هذا الفصل خمسا وثلاثين صفحة •

٥ – فصلا خامسا – عن رواية الشعر الجاهلى وتدوينه ، ينتظم : رواية العرب للشعر الجاهلى ، الرواة المحترفين ، التدوين ، قضية الانتحال ، أهم مصادر الشعر الجاهلى.ويضم هذا الفصل خمسا وأربعين صفحة •

٦ – فصلا سادسا – عن خصائص الشعر الجاهلى ، ينتظم نشأة الشعر الجاهلى وتفاوته فى القبائل غنائية الشعر الجاهلى، موضوعاته ، خصائصه المعنوية ، خصائصه اللفظية • ويضم هذا الفصل خمسين صفحة •

وبعد هذا يبدأ المؤلف فى عرض الشعراء فى فصول من الكتاب فيجعل :

٧ – فصلا سابعا – عن امرىء القيس ، ينتظم : قبيلته وأسرته ، حياته ، ديوانه ، شعره• ويضم هذا الفصل خمسا وثلاثين صفحة •

٨ – فصلا ثامنا – عن النابغة الذبيانى ، ينتظم: قبيلته ، حياته ، ديوانه ، شعره • ويضم هذا الفصل خمسا وثلاثين صفحة •

٩ – فصلا تاسعا – عن زهير بن أبى سلمى ، ينتظم : قبيلته : حياته ، ديوانه ، شعره• ويضم هذا الفصل ثلاثا وثلاثين صفحة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فصلا عاشرا – عن الأعشى ، ينتظم : قبيلته وحياته ، ديوانه ، شعره . ويضم هذا الفصل أربعا وثلاثين صفحة .

ثم عقب المؤلف بذكر طوائف من الشعراء خصهم بفصل وهو :

١١– الفصل الحادى عشر ، وينتظم : الفرسان (مهلهل ، عامر بن الطفيل ، عنترة) ، والصعاليك (تأبط شرا ، الشنفرى ، عروة ابن الورد) ، ثم شعراء آخرين (السموأل، عدى بن زيد ، أمية بن أبى الصلت) . ويضم هذا الفصل ثلاثا وثلاثين صفحة .

وينتقل المؤلف بعد هذا الى النثر فيخصه بفصل ، وهو :

١٢– الفصل الثانى عشر ، وينتظم : صور النثر الجاهلى ، الامثال ، الخطابة ، سجع الكهان. ويضم هذا الفصل تسعا وعشرين صفحة .

ثم يختم المؤلف كتابه بخاتمة تنتظم : خلاصة وتعليقا .

اما الخلاصة فهى اجمال واصف لخطوات المؤلف فى كتابه خطوة خطوة ، تكاد تجمع بين يديك نقاط الكتاب ، ورؤوس موضوعاته .

وأما التعليق فهو نوع من الايضاح المتم يعلل فيه المؤلف تركه التفصيل عن شعراء جاهليين ، ويجعل علته فى قلة ماصح لهم من شعر ، وندرة ما أثر لهم ، وأن بعضهم كان صورة من غيره .

والمؤلف يلخص ذلك كله فى كلمته الأخيرة التى ختم بها تعليقه حيث يقول :

« وواضح من ذلك كله أننا لم نتسع فى الترجمة لشعراء الجاهلية لقلة ما بأيدينا من شعر وثيق لهم يقفنا على خصائصهم ، ومن ثم اكتفينا بالترجمة للطبقة الأولى منهم ، تلك الطبقة التى عنى الرواة بدواوينها وأجمعوا على تقدمها وأنها لاتبارى فى حسن الديباجة ورونق الكلام » .

وأهم ما يلفتك بعد الاستيعاب الكامل والاستقصاء الدقيق وقفات للمؤلف كثيرة ناقش فيها فى بيان بين وحجة حاجة آراء المستشرقين وغير المستشرقين حول سيادة لهجة قريش ، ثم حول انتحال الشعر الجاهلى ، ووقفات أخرى له فى الحكم على قدر الشعر الجاهلى كيفا لاكما .

ونحن اذا تتبعنا الدراسات الأدبية فى المحيط العربى نجد أنها تتدرج تحت ألوان مختلفة لا ينهض كل لون منها بتصوير صورة كاملة وتكاد هذه الألوان مجتمعة تصور صورة قريبة من التكامل .

فمنذ كان الادب رواية عاشت فى ظل تلك الرواية دراستان دراسة جامعة ودراسة ناقدة ، فكنت تسمع للحافظ الذى يجمع فى صدره مايجمعه كتاب ، كما كنت تسمع للناقد الذى يشافهك مستجيدا ومستقبحا بما يحضره .

وحين انضبطت الرواية بالتدوين ظهرت الى جانب هاتين الدراستين – اعنى الجامعة والناقدة– دراسة ثالثة كانت غير مستكملة فى عصر الروايةثم كملت فى عصر التدوين ، وأعنى بها الدراسة المبوبة التى عنيت بتقسيم الأدب أغراضا وجمع ماقيل حول كل غرض . وظاهر أن نمو الدراسة الناقدة هو الذى أرخى لنمو هذه الدراسة المبوبة .

ثم انضم الى هذه الدراسات الثلاث دراسة رابعة حول حياة الشاعر كانت قاصرة أول الأمر على ما يربط بين شعر الشاعر والأحداث التى أثارته ثم اتسعت شيئا فترجمت للشاعر جملة .

وعاشت البيئه الأدبية العربية على هذه الألوان من الدراسات التى تمثلها كتب أربعة : كتب جامعة . وأعنى بها الدواوين وما يقرب منها ، وكتب ناقدة ، وأعنى الكتب التى ناقشت الشعر وناقشت الشعراء ، وكتب مبوبة ، وأعنى بها كتب الأدب التى عنيت بالاختيار وتبويب الادب على أغراض ، ثم كتب التراجم التى عنيت بجمع ما للشاعر خبرا ونظما .

وحين بدأت الدراسة الأدبية تدخل علينا معاهدنا الأدبية المعنية بتلك الدراسة كانت صورة من هذا كله، تجمع أشتاتا من هنا وأشتاتا من هناك. وعلى قدر قصور تلك الدراسات كان قصور الدارس فنشأ صورة من تلك الكتب الأربع جملة، أو صورة للغالب منها على طبعه وتذوقه .

وخطت تلك الدراسات الأربع ، أو تلك الكتب الأربعة ، خطوة جديدة ، وكانت تلك الخطوة التى كان نهجها الربط بين الأديب وبيئته

زمنه . ومن هنا نشأت الدراسة الخامسة ، أو الكتاب الخامس الذى يمهد بتصوير البيئة وتصوير الزمن وما يضم من ثقافات مختلفة ايمانا بأن الاديب لا يكون صادق الشعر الا اذا تادب بما حوله حتى لاينطق منقوص الفكر منقوص التصوير .

واختلفت كتب المرحلة الخامسة ايغالا فى هذا الاستيعاب وتخففا منه وكانت لها صورتان : تلك الصورة التى سبق بها بروكلمان وجرى فيها على اثره جورجى زيدان ، ثم هذه الصورة ، أعنى المخففة ، التى تجردت من العرض الفكرى العام فى صورته العامة واجتزأت بعرضه فى صورته الخاصة ، أعنى الاجتزاء بالاشارة اليه نتيجة لا تفصيلا .

ونحن مع ميلنا الى جانب المؤلف فى التخفف من العرض العام لا نعنى حرمان هذه المرحلة الخامسة من عرض خاص ، اذ الحياة الأدبية صورة من الحياة العامة بجميع مظاهرها ، ومن لم يستجل الحياة العامة لا يستطيع أن يستجلى مظهرا من مظاهرها ولا يكون صادق الحكم ان حكم .

غير أننا بعد هذا مازلنا نفتقد مرحلة سادسة أو كتابا سادسا ، يكون صورة لهذه المرحلة السادسة .

فانا أومن أن الادب هو لسان المجتمع ، ومن هنا كان شرط من اشترط الربط بين الاديب وبيئته وزمنه . والبيئة التى تنبت المستنبت حين تجدب ، والعامر حين تقفر ، والمعلم حين تجهل ، والطبيب حين تعتل ، يجب أن تنبت على رأس هؤلاء الاديب الذى ينفث فى روع الناس من روعه بما أحس . والزمن الذى يخلق الثائر حين البغى، والهادى حين الضلال، والذائد حين العدوان، يجب أن يخلق قبل هؤلاء جميعا الأديب الذى يحس هذا كله ويصور هذا كله أدبا .

فان أظلت البيئة أديبا لايصور بيئته ، أو ان أظل الزمن أديبا لايصور زمنه كان أدب هذا وأدب ذاك لهوا من اللهو .

وهل مؤلف هذا الكتاب قصد الى هذا حين أشار الى الجنس والوسط والزمن ، ثم حين أشار الى ما انتواه من أن يجعل لكل بيئة دراسة حين توزعت البيئات العربية .

ونحن بعد هذا بوعد المؤلف مطمئنون الى تحقيق هذه المرحلة السادسة التى سوف يعرض فيها الأدب مع البيئة والزمن والتى لاشك سوف تخلق مذاهب أدبية تحل محل تلك الأشكال التى خلناها مذاهب وقسمنا أدبنا بينها ، وأعنى بها المدح والهجاء والرثاء والغزل وما اليها .

ابراهيم الابيارى

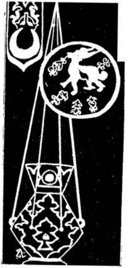
سطور من كتاب ...

« من الضرورى لفهم تنظيم الفن التصويرى الحقيقى ، ان يتم توضيح ذلك فى شكل يعتمد على محورين ويمتد فى ناحيتين . وسوف أسمى احد هذين المحورين المحور التشبيهى التعبيرى ، وأسمى الثانى المحور التقليدى الفردى » ..

... الفن والحياة

المدخل الى التصوف الاسلامى

تأليف : محمود أبو الفيض المنوفى



الدار القومية للطباعة والنشر
١٤٢ ص ١٧ × ٢٤ سم ث ١٥ قرشا

هذا الكتاب حلقة فى السلسلة التى تصدرها الدار القومية للطباعة والنشر تحت عنوان «مذاهب وشخصيات» . وهو كما يبدو من عنوانه مدخل لدراسة التصوف الاسلامى بمثابة التمهيد الذى يهيىء القارىء لان يتعرف على المبادىء الأولية للتصوف الاسلامى ، ويهيىء له سبيل الوقوف بعد ذلك عند الحقائق العليا والدقائق العويصة *التى* ينطوى عليها هذا التصوف ، والتى أودعها أصحابها من أرباب الأذواق والأحوال الروحية صفحات كتبهم ودواوينهم ، وما أحفلها بهذه الحقائق والدقائق ، وما أشملها لهذه الأذواق والأحوال التى كثيرا ما تدق عن فهم القارىء العادى ، فاذا هو عندئذ فى حاجة الى مثل هذا التمهيد من ناحية ، والى شرح نصوص الصوفية أنفسهم من ناحية أخرى .

ويتبين هذا الاتجاه التمهيدى فى كتاب (المدخل الى التصوف الاسلامى) اذا لاحظنا أن المؤلف قد وضع أو هو بسبيل أن يضع كتابا شاملا يكون لعلم التصوف كالأم ولطلابه وعلمائه كالمرجع ، أو كدائرة معارف مصغرة شاملة لعلوم الصوفية ، وأقوالهم وأحوالهم ، ومقاماتهم ومصطلحاتهم ، ومايبنون عليه من سلوك ، وما يبتغون من وراء هذا كله من انكشاف الحقيقة واضحة مشرقة ، ولتحفظ قواعد التصوف الاسلامى الحقيقى مصفاة من الشوائب الدخيلة التى علقت به ، بحيث يتبين لمن يلم بهذا المرجع أطراف هذا العلم من علمية وعمليه ، ومن أصول وفروع ، ومن مبادىء وقواعد ، ومن رجال صدرت عنهم أقوال وأفعال ، وتعاقبت عليهم أذواق ومواجيد وأحوال ، وأخضعوا أنفسهم لرياضات ومجاهدات ، وامتلأت قلوبهم بأسرار المشاهدات وأنوار المكاشفات ، وعبروا عن الحقائق التى تجلت لسرائرهم وضمائرهم فى الفاظ وعبارات، منها كثير من الرموز والاشارات ، وهاهنا غموض وابهام وخفاء ، فلابد من الشروح والتعليقات . وقد سمى المؤلف كتابه الذى يعرض لهذا كله (معالم الطريق الى الله) فى الجمع بين الشريعة *والطريقة والحقيقة* على ضوء من هدى *الاسلام* والايمان والاحسان . ومن هنا يمكن أن يفهم لم سمى المؤلف كتابه الذى نعرض له بالتحليل والنقد (المدخل الى التصوف الاسلامى) : فهو بالنسبة الى كتابه (معالم الطريق الى الله) كالمدخل الذى يدخل منه القارىء . واذا كان ذلك كذلك فلابد عند المؤلف من أن يستوعب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القارىء كتاب المدخل استيعابا ممحصا حتى يتمكن من ارتياض مفاوز التصوف عموما ، وفهم كتابه (معالم الطريق الى الله) خصوصا ٠

ويشتمل كتاب (المدخل الى التصوف الاسلامى) على عدة فصول متفرقة فى موضوعات متنوعة من الموضوعات التى يوردها عادة المؤلفون الصوفيون على أنها تمهيدات يقدمونها بين يدى السالكين والمريدين والقراء العادين وغير العادين ممن يصيبون فى قراءتها منافع كثيرة أو متعا لطيفة تتفاوت لدى كل منهم بتفاوت وجهات النظر ، أو تتوافق لديهم أو لدى بعضهم على الأقل باتفاقهم عند ملتقى الغرض الذى يريدون أن يحققوه جميعا أو يحققه كل منهم فيما بينه وبين نفسه تارة وفيما بينه وبين أشباهه تارة أخرى ، وفيما بينه وبين ربه أطوارا ، وهو أن يأخذ الانسان نفسه بما يحقق له كمال العلم وكمال العمل فى حياته الروحية ، اهتداء الى المعرفة اليقينية ، وابتغاء للسعادة الحقيقية ٠

أما هذه الموضوعات المتنوعة فى تلك الفصول المتفرقة التى آلف بينها صاحب (المدخل، ومعالم الطريق الى الله) ، فهى على الترتيب : ماهية التصوف ، والفرق بين الزهد والتصوف ، ونشأة التصوف الاسلامى ورجاله ، وأن هذا التصوف مستمد من السنة ، وأصول التصوف وقواعده ، وأنه علم التقوى وعلم الباطن الذى يتفق مع علم الظاهر من وجه ، ويختلف عنه من وجه آخر ، ومواجيد أهل التصوف ومعارفهم وحقيقة عقيدتهم ، وحقيقة وحدة الوجود عند أهل التصوف الاسلامى الحق ، والفرق بين الفلسفة والتصوف ، والانسان ومقامات السلوك ، والنفس ومراتب السلوك ٠ فكل أولئك موضوعات لفصول الكتاب التى حشد المؤلف فى كل منها كثيرا أو قليلا من المعلومات الطريفة ، والنصوص القيمة ، واعمل فى هذه النصوص وتلك المعلومات فكره وذوقه على قدر ما وسعه جهده المحمود ٠

على أن هذا الترتيب الذى التزمه المؤلف فى وضع فصول كتابه على ذلك الوجه قد يوهم بأن موضوع كل فصل من فصوله مختلف عن موضوع غيره من الفصول الأخرى ، ومن هنا كان لكل فصل عنوان خاص من شأنه أن يوحى الى القارىء بأنه سيقرأ فى هذا الفصل مالم يقرأ فى سابقه أو مالن يقرأ فى لاحقه ، والوقع أن الامر ليس كذلك: ذلك بأن المؤلف قد أورد معلومات بعينها فى أكثر من فصل ، وكان ايراده لها ، واستنتاجه منها ، هما هما بعينهما فى كل الفصول التى تحمل عناوين مختلفة ، وتعرض لموضوعات متباينة ، هذا من ناحيته ، ومن ناحية أخرى يؤخذ على المؤلف أنه عدد بعض الفصول ونوع عناوينها ، وجعل من كل فصل منها موضعا الدراسة مسائل تظهرها عناوين الفصول المختلفة وكأنها مسائل مختلفة هى الأخرى ، والواقع أنها مسألة واحدة كان ينبغى أن تتناول بالدرس والتحليل من كل وجوهها وعرضها فى صورة متسقة فى فصل واحد :

فمن هذا القبيل مثلا الفصول الأربعة التى تحمل هذه العناوين : « ما التصوف » ، « عود الى اسم التصوف...وهلالتسميةمشتقة أو لقب» ، « تعريفات للتصوف الاسلامى » ، « الفرق بين الفلسفة والتصوف » : فكل أولئك فصول تعرض لموضوع جوهرى بعينه هو « ما هية التصوف الاسلامى » ، وهذا الموضوع الجوهرى هو الذى يستوعب بطبيعته كل الموضوعات والتعريفات ، وكل الالفاظ والعبادات ، وكل النصوص والمعلومات ، التى وزعها المؤلف هذا التوزيع المتفرق على هذا الوجه الذى نجده فى هذه الفصول الأربعة ، وما كان احراه أن يجمعها ويؤلف بينها تأليفا متسقا يجعل منها فصلا واحدا فى الابانة عن معنى التصوف الاسلامى وحقيقته وموضوعه ومنهجه وغايته ، بحيث يتكشف هذا كله من خلال النصوص ، كما يتفق مع طبيعة الموضوع من ناحية ، ومع منطق الافكار ودلالات الالفاظ والعبارات على معانيها الحقيقية من ناحية أخرى ٠

ومثل هذا يمكن أن يقال فى الفصلين اللذين يحمل أحدهما عنوان : « مواجيد أهل التصوف »، ويحمل الآخر عنوان : « الكلام عن معارف الصوفية واظهار حقيقة عقيدتهم » ، فما كان أحراهما بالتوحيد ، أو بأن يكون بينهما رابط ظاهر عند التأليف بينهما ، اذ المواجيد هى قوام التصوف ومجمع بنائه ، ولاسبيل الى عرفان

العارفين بالمعنى الصوفى الخالص الا أن تكون أنوار الحقائق وأسرار الدقائق قد فاضت على قلوبهم فى مواجيدهم من لدن ربهم .

وكذلك الفصلان اللذان وضع أحدهما عنوان « الانسان ومقامات السلوك » ، ووضع الآخر تحت عنوان « النفس ومراتب السلوك » : فلست أدرى لم فرق المؤلف بينهما هكذا ، ولم وضعهما تحت هذين العنوانين المختلفين ، الا أن يكون الانسان الذى يمر بمقامات السلوك شيئا ، والنفس التى تختلف عليها مراتب السلوك شيئا آخر ، أو تكون نفسا لشىء آخر غير الانسان من ناحيه ، والا أن تكون مقامات السلوك شيئا ، ومراتب السلوك شيئا آخر من ناحية أخرى . أما وأن النفس هى نفس الانسان ، والسلوك هو سلوك الانسان ، أو سلوك النفس بالانسان فى مقامات هذا السلوك التى هى مراتبه المتعاقبة ، فما أحرى المؤلف أن يجمع بين هذين الفصلين فى فصل واحد يتناول فيه النفس الانسانية فى سلوكها الى الله من خلال هذه المقامات أو المراتب.

وليس من شك فى أن الفصول قد تعددت ، والمعلومات والنصوص قد تكررت ، وكان ينبغى للمؤلف أن يركز وينسق هذه ، ويوحد ويؤلف بين تلك ، الا أنه لم يقيد نفسه بمنهج علمى وضابط فكرى، بحيث يضع كل فصل فى موضعه، ويضع كل المعلومات والنصوص المؤتلفة فى الفصل الذى يجعل منها نسقا واحدا مؤتلف الأبعاض متسق الأجزاء ، حتى لايتألف فصل من عناصر كان ينبغى أن تدخل فى تأليف فصل آخر ، وحتى لاتتعدد فصول لاغناء فى تعددها ، بقدر ما فيها من تكرار ، وما تؤدى اليه من تناقض فى الافكار .

على أن تحرر المؤلف من المنهج العلمى والضابط الفكرى لم يقف به عند هذا الحد ، بل أوقعه فى شىء آخر يكاد أن يكون شائعا فى كل الكتاب ، وهو أن الالفاظ لم تحدد عنده تحديدا مستقيما ، كما أن الدلالات التى تدل عليها هذه الألفاظ قد تعددت بتعدد ألفاظها ، ومن هذه الألفاظ ما اصطنعه المؤلف على أنه مرادف لالفاظ أخرى ، أو دال على معنى له دلالته فى لفظ آخر ، ومن هنا اختلطت الالفاظ ، وتشابهت الدلالات ، وترتب على هذا أن أصبح التعريف الواحد قولا شارحا لأكثر من شىء واحد ، وأكبر الظن أن كل أولئك ليس من المنطق فى شىء :

ففى الفصل الذى يعرض فيه المؤلف لماهو التصوف ، نراه يورد كثيرا من تعريفات التصوف ونصوصه التى تصور معانيه المختلفة عند الصوفية المتقدمين والمتأخرين من أمثال الجنيد ، وأبى حفص ، والسهروردى ، وسهل بن عبد الله، والشبلى ،ورويم بن أحمد البغدادى ، ومعروف الكرخى ، وابى تراب النخشبى ، وعبد السلام ابن مشيش ، وتلميذه أبى الحسن الشاذلى ، السيد زين العابدين ، والسرى ، وذى النون المصرى ، وأبى السعود بن أبى العشائر ، والغزالى، الى غير هؤلاء من الذين لم يذكرهم المؤلف بأسمائهم ، وانما أشار اليهم بقوله انهم من بعض العارفين أو من شيوخ التصوف . وبعد أن سرد المؤلف هذه التعريفات كما وردت فى كتب الصوفية على ألسنة أصحابها ، أوجز رأيه فى كلام يتضمن شرح أقوال القوم فى معنى الصوفى لافى معنى التصوف فقال : « ان الصوفى المتحقق فى عرفى واعتبارى انما هو شخص أحبه الله أولا، فهيأه لحبه ، وزوده بخصائص عقلية وقلبية تميزه من غيره من العباد والزهاد والصالحين ، وتلك الخصائص هى الذوق السليم والطبع المستقيم والنظر البعيد ... » (ص ١٥) فكان المؤلف قد عقب برأيه هنا فى معنى الصوفى على تعريفات عدة بعضها تعريفات للتصوف، وبعضها الآخر تعريفات للصوفى أو للصوفية . وهذا يعنى أنه قد جعل من العلم والمشتغلين به شيئا واحدا ، ومن هنا كان تعقيبه على هذه التعريفات وتلك باظهار معنى الصوفى على الوجه الذى أثبتناه آنفا ، فكأن التصوف والصوفى والصوفية عند المؤلف شىء واحد ، أو هى أسماء عدة يمكن أن يدل بأحدها على مايدل عليه الآخر .

وكذلك فعل المؤلف بما قدم بين يدى هذه التعريفات التى بعضها للتصوف ، وبعضها الآخر للصوفى ، وطائفة ثالثة منها للصوفية ، كأن التصوف والصوفى والصوفية كلها عنده سواء ،

وما يعرف به أحدها يمكن أن يعرف به الآخر .
وتلك لعمرى هنة من هنات المنهج الذى درج عليه المؤلف فى كل كتابه ، أو من هنات التحرر من المنهج العلمى السليم والضابط الفكرى المحدد للألفاظ ودلالاتها على وجه مستقيم ، اذ لو قد حددت الألفاظ تحديدا دقيقا ، وقدمت التعريفات تقديما صحيحا ، بحيث صنفت تصنيفا منطقيا متمشيا مع طبيعة الأشياء من ناحية وملائما لقواعد المنطق من ناحية أخرى ، لكان العرض أسلم وأقوم ، ولكانت النتائج أدق ، والثمرات أنضج .

ومهما يكن من شيء فان فيما قدمه السيد محمود أبو الفيض المنوفى فى مدخله الى التصوف الاسلامى لمعلومات ومعارف ، ونصوصا تنطوى على كثير من اللطائف ، فيها متاع روحى للقراء ، كما أن فى ايرادها مجتمعة فى هذا المدخل ما يدل على ما احتمله المؤلف فى الجمع بينها من مشقة وعناء ، فلا أقل من أن أقدم اليه ماهو خليق به من حمد وثناء .

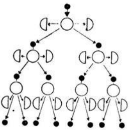
الدكتور محمد مصطفى حلمى

سطور من كتاب ...

« يا نصف الليل ! .. لبئس أنت من ساعة شر ! .. لست متطيرا ، ولكنى طالما أوجست خيفة من هذه الساعة . لقد ألقى فى خلدى أنى اذا مت يوما فعند منتصف الليل أموت ، أإذن سأموت يوما ؟ كيف ذا ليت شعرى ؟ أأموت أنا ؟ أنا الذى اتكلم ، أنا الذى أشعر بنفسى ، والمس نفسى ، أيمكن أن أموت ؟ يشق علىّ أن أعتقد ذلك » ..

... رحلة حول حجرتى

الطاقة النووية فى الـ



تأليف : د

ترجمة : الدكتو

مراجعة : الدكتو

منشورات لجنة التأ... ـرجمة والنشر

٢٣٩ صفحة .

نحن حقيقة فى مسيس الحاجة الى الكتب التى تبحث فى موضوع الطاقة وبالأخص الطاقة الذرية ، أو الطاقة النووية بتعبير ادق فالعالم اليوم يعيش فى عصر الـذرة وان كانت البشرية ما زالت على عتبته لم تتوغل فيه بعد . ومن حق القارىء العربى كزميله الأوروبى والغربى أن يجد بين يديه عديدا من الكتب المؤلفة والمترجمة التى توضح له أساليب هـذا العصر ووسائله وسماته ومقوماته ، وتعرض لحاضره ومستقبله حتى يكون على بينـة من أمره وحتى يدرى ما يجرى فى العالم الذى يعيش فيه من تطورات وتغييرات .

والـكتاب الذى تعرض له اليوم ، محاولة فى هذا الاتجاه ، وهى محاولة قيمة فمؤلف الكتاب عالم انجليزى أشهر طويل البـاع فى موضوع الطـاقة النووية كما أن من قام على نقله الى اللغة العربية أستاذان جليلان هما الدكتور محمد مرسى أحمد والدكتور أحمد عبد السلام الكردانى وهما من ذوى المـكانة الرفيعـة فى الأوسـاط العلمية . فالدكتور محمد مرسى أحمـد شغل منصب الأستاذية فى الجامعة سنين عديدة ، وهو اب الرياضيات فى بلدنا وزميل المرحوم الدكتور على مصطفى مشرفه وبحوثه العلمية المتخصصة والعامة عديدة ومتنوعة وهو اليوم فى منصب المدير لاحدى جامعاتنا . أما الدكتور أحمـد عبد السلام الكردانى فقـد مارس مهنة العلم والتعليم والاشراف التربوى لسنين عـديدة فى وزارة التربية والتعليم وهو من الرواد الأوائل فى تبسيط العلوم ، أذ ساهم بقسط وافر فى هذا الميدان بمؤلفاته ومترجماته . فمؤلف الـكتاب اذن عالم كبير ؛ ومن نقله الى العربية ممن رسخت اقدامهم فى العلوم والمعرفة .. وموضوع الكتاب من موضوعات الساعة فلنا اذن بعد كل هذا ان نتوقع قراءة كتاب ممتاز له قيمته وله مكانته .. والـكتاب بحق كتاب متميز ، وأسلوبه العربى أسلوب واضح سهل ، فاللفظ على قدر المعنى ، والدقة متوخاة فى الترجمة الى حد بعيد ..

ومما تجدر الاشارة اليه أن فى نهاية الكتاب كشـافا يحوى المصطلحات العلمية الواردة فى الكتاب مع ترجماتها العربية ويربو عددها على أربعمائة مصطلح ، وهذه حسنة كبيرة وخاصة فى هذا الوقت الذى نشطت فيه حركة ترجمة العلوم الى اللغة العربية لأن فيه مساهمة فعلية فى تسهيل عملية الترجمة وتبسيطها واضافة زخيرة علمية الى لغة الضاد نحن فى أشد الحاجة الى مثيلاتها .

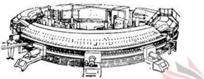
ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما يعرف به احدها بمكونية فى الصناعة » وتلك لعمرى هنة . رجل الصناعة المتخصص المؤلف فى العام على حد سواء .

العصر الذى نعيش فيه هو عصر الطاقة الذرية ، ولكن ما استكشف حتى اليوم من الذرة ، وما أمكن التحكم فيه من طاقتها ليس الا أقل القليل ؛ ويوم يتوصل العالم الى اكتشاف كيفية التحكم فى ادماج العناصر الخفيفة وهو نوع التفاعل الذى يحدث فى القنبلة الأيدروجينية فان معين الطاقة سيكون فعلا غير محدود اذ يكون من المستطاع عند ذلك استخدام مقادير الأيدروجين الضخمة الموجودة بمياه المحيطات لتوليد القوة ، ويدخل الجنس البشرى فى عصر يختلف اختلافا كبيرا جدا عن كل ما مر به من قبل ، عصر يمكننا أن نطلق عليه « عصر القدرة التى لا حد لها » ..

ونحن الذين نعيش اليوم ، قد لا ندخل بأنفسنا هذا العصر الجديد ، عصر القدرة التى لا حد لها الا أننا على الرغم من ذلك ، نتابع أوجه نشاطنا العادية وحياتنا اليومية ، بينما تظهر فى الأفق الأشعة الأولى لمستقبل يلمع لمانا لا يتصوره العقل ، وما يهدف اليه هذا الكتاب هو اعطاء القارىء فكرة أو انطباعة ذهنيـة لما هو جار فى الوقت الحاضر وللصورة التى تبدو عليها الصناعة الآلية فى ضوء القدرة النووية الحالية وما ينتظر لها من تطورات فى المستقبل ، وبذا يجد القارىء عونا على شق طريقه فى عالم القدرة النووية المتوقع وعلى رؤية الكيفية التى ستتأثر بها الصناعة الآلية ورؤية الاتجاهات التى ستبدو فيها الحاجة ماسة الى منتجات جديدة وصناعات أو حرف جديدة وأساليب للحياة جديدة .

بدأ الكتاب يعرض مصادر الطاقة المختلفة الموجودة لدى الانسان من فحم وزيت وغاز وقدرة مائية وأخشاب وقدرة بشرية وتطور استخدامها خلال التاريخ البشرى وكيف أن الانسان كان يعتمد اول الأمر على عضلاته وعلى منتجات النبات كالخشب حتى ظهر المحرك البخارى فبدأ ينتفع بمدبرات الطاقة الهائلة الكامنة فى الفحم . ثم قارن المؤلف بين مدخرات العالم من الطاقة واحتياجاته فى الوقت الحاضر ، وانتهى الى انه اذا أمكن رفع استهلاك الفرد من الطاقة الى المستوى الأمريكى واستمدت هذه الطاقة من المصادر المألوفة فان الانتاج العالمى الحالى لهذه المصادر يجب أن يتضاعف ٥٪ من المرات ؛ وحتى على فرض بقاء عدد سكان العالم على ما هو عليه الآن فان مدخراته من الفحم ، اذا استخدمت بهذا المعدل ، لن تكفى لأكثر من ١٥٠ سنة .



ومع هذا فالتقارير الحديثة الخاصة بالاستخدامات السلمية للطاقة الذرية تبين أن العالم غنى باليورانيوم وما فى متناول يدنا منه الى جانب المصادر الأخرى يجب أن يكفينا لمدة ٢٠٠٠ عام وفى خلال هذه الفترة لابد أن يكتشف الانسان اطلاق الطاقة النووية من عملية اندماج ذرات الأيدروجين بصورة يسهل التحكم فيها ، كما يحدث فى قلب الشمس ، فمقادير الطاقة الهائلة التى تتدفق باطراد من الشمس مستمدة من تفاعل اندماجى أيدروجينى تتحكم فيه الطبيعة أو الفطرة . وهدف الانسان فى الوقت الحاضر هو أن يصنع لنفسه صورة مصغرة لشموس تجرى فيها العمليات التى تجريها الطبيعة فى الشمس ، وعليه أن يحقق هذا الكشف قبل ان ينفد ما لديه من الفحم واليورانيوم .

فالوضع الراهن بالنسبة للطاقة فى العالم بوجه عام ملىء بالصعوبات ، ومن الواجب على جميع المشتغلين بالصناعة ، حتى ولو كانت صناعاتهم تبدو لأول وهلة عديمة الصلة بتاتا بالطاقة النووية « أن يتعرفوا على الأساليب الفنية

لاستخدامات هــذه الطاقة ، وأن يألفوها حتى يتمكنوا من اقتبــاس ما قــد يحسن عملياتهم الصناعية ويسير بانتاجهم قــدما الى الأمام ، ويجعلهم يتطــورون مــع احتيــاجات العصر وامكانياته .

وقد عرض الكتاب لطبيعـــة الطاقة النووية وشرح معناها ، وتتبع أصولها التاريخية منذ اكتشاف النشاط الاشعاعى عام ١٨٩٦ فتجارب رذرفورد للتعرف على تركيب الذرة واكتشاف شــادويك للنيوترون وتجارب فرمى وكورى وانشـــطار اليـــورانيوم على يد كل من هان وستراسمان عام ١٩٣٨ وهو الكشف الذى فتح الآفاق أمام التفاعلات النووية المتسلسلة وتبعـه التحكم فى التفاعل المتسلسل لانتاج المفاعلات . واستعرض المؤلف بعــد ذلك مختلف أنواع المفاعلات النووية .

وفكرة هان وســتراسمان أن اليورانيوم ، اذا ما قذف بالنيوترونات ، كانت نواته الثقيلة عرضة للانفلاق الى جزئين متساويين تقريبا مع انبعاث كمية هائلة من الطاقة . ومجموع كتلتى الجـزئين أقل بكثير من كتلة نواة اليورانيــوم الأصلية . هذه الكتلة المفقودة ــ المساوية للطاقة التى كانت ترتبط فى أول الأمــر أجــزاء نواة اليورانيوم ــ هى التى تعود للظهور على صورة طاقة حركة فى الشظايا المتناثرة .

ثم ثبت بعــد ذلك أن كل انشــطار لنواة اليورانيوم ينتج ، علاوة على الشظيتين الكبيرتين ، عــدة نيوترونات ، وبالطبع يمكن لكل من هذه النيوترونات أن يسبب انشطارا لنواة يورانيوم جــديدة وهــكذا تم كشف التفــاعل النووى المتسلسل .

فالفكرة الأساسية فى انطلاق الطاقة النووية بسيطة للغاية ، وهى تتألف من وضع نوى ذرات مناسبة بعضها قريبا من بعض حتى ينشأ فيما بينها تفاعل متسلسل محدثا مجموعة من نوى جديدة كتلتها أقل من كتلة النوى الأصــلية ، وهذه النوى الجــديدة تتحرك بطاقة تساوى الكتلة التى اختفت أثناء حدوث التغيير .

ومع أن الفــكرة فى حــد ذاتها بسيطة فان تطبيقها عمليا قد تطلب جهودا علمية جبارة . والى الآن فان اطلاق الطاقة النووية اطلاقا متحكما فيه متوقف تماما على استغلال اليورانيوم وهو المادة الوحيــدة الموجودة فى الأرض التى يسهل تعريضها للانشطار . ويتألف اليورانيوم الطبيعى من نظــيرين أى طرازين من الذرات يختلفــان اختــلافا طفيفا فى الكتلة هما يورانيوم ٢٣٨ ويورانيوم ٢٣٥ . ويوجــد النظير الأخير وهو الخفيف بنسبة ١ : ١٤٠ ، وهــو وحده النظير الذى يسهل انشطاره . ويضــاف الى هذا أن يورانيوم ٢٣٨ ، وهو الذى يكون النسبة العظمى من كتلة اليورانيوم الخــام يمتص النيوترونات بشراهة ، ومن ثم فان نيوترونا طليقا فى كتله من اليورانيوم الخام فرصـــته ضعيفة فى احداث الانشطار لسببين : فهنــاك ذرات يورانيوم ٢٣٥ قليلة جدا نسبيا كما أن النيوترون الطليق نفسه عرضة لأن تأسره وتستحوذ عليه ذرات يورانيوم ٢٣٨ الموجودة بكثرة جدا ، وبذا فلن ينشأ تفاعل متسلسل تلقائى فى كتلة من اليورانيوم الطبيعى النقى .

وطبيعى أن احــدى طرق جعل التفــاعل المتسلسل محتمل الوقوع هى فصل اليورانيوم ٢٣٨ عن اليورانيوم ٢٣٥ ، وهــذه عملية صعبة جدا . ولكن هناك خاصية فى اليورانيوم الطبيعى تسمح باحداث التفاعل المتسلسل فيه صناعيا أى بطريقـــة مفتعلة أو مصطنعة ، فالتفــاعل المتسلسل لا ينشــأ من تلقاء نفسه لأن النظير الثقيل ٢٣٩ يمتص بسهولة النيوترونات السريعة التى تنطلق فى أثنــاء الانشــطارات العرضية لليورانيوم ٢٣٥ ومع ذلك فقــد وجــد أن النيوترونات البطيئـــة أقدر بكثير جدا من النيوترونات السريعة على احداث الانشطار فى اليورانيوم ٢٣٥ ؛ وحــين تبطىء حــركة هــذه النيوترونات الى الحد المناسب فانها تحــدث الانشطارات بأسرع من امتصاص اليورانيوم ٢٣٨ للنيوترونات الناتجة .

هذه الخاصية هى التى مكنت العــالم فرمى من بناء أول مفاعل ذرى بطىء عام ١٩٤٢ . وقد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثبت فرمى أن النيوترونات تبطؤ حركتهـــا اذا ما اصــطدمت بجسيمات أخرى خفيفة كذرات الكربون أو البيريليوم أو الأيدروجين . وتسمى هذه المواد المستخدمة فى تبطئة حركة النيوترونات باسم الملطفات أو المهـدئات . وقـد كون فرمى مفاعله كما يلى : ... وضع قطعا من اليورانيوم الطبيعى فى كتلة كبيرة من الكربون مبنية بطوب من الجرافيت فـكانت النيوترونات السريعـة الناتجة من انشطار اليورانيوم تبطىء حركتهـــا بتكرار اصـطدامها بذرات الكربون حتى أمكنها احداث الانشطارات فى اليورانيوم ٢٣٥ بأسرع مما يمتصها اليورانيوم ٢٣٨ . وبالعنـــاية فى تصميم أحجام قطع اليورانيوم والفحم وترتيب اوضـــاعها فى المفاعل تقـل فرص أسر ذرات اليورانيوم ٢٣٨ للنيوترونات .

ويعتبر مفاعل فرمى مثـالا للمفاعل النووى البطىء لا سبيل لانفجاره . وتتوقف القدرة التى يولدها المفـاعل على قوة انسياب النيوترونات المتدفقـــة داخل قلبـه أو نواته فقد تعبر كل سنتيمتر من هـذا القلب مـلايين الملايين من النيوترونات فى كل ثانية مكونة شعلة نيوترونيه تحترق فيها مواد الانشطار كما يحترق الوقود فى أفران الفحم .

ويبين لنا مفاعل فرمى المبادىء الأساسية التى تنطوى عليها المفاعلات النووية الحديثة ، فالمفاعل النووى يحتـــاج الى وقود نووى والى مهدىء كالماء الثقيل والى مبرد للتخلص من الحرارة . وقد شيدت أنواع عديدة من المفاعلات فى جميع أنحاء العالم .

وأول منشأة للقدرة النووية لتوليد الكهرباء للأغراض الصناعية شيدت فى روسيا عام ١٩٥٤ ، ويستخدم المفـاعل وقود اليورانيوم ومهدئا من الجرافيت ، والماء العادى كمبرد ويولد ٥٠٠٠ كيلووات من الـكهرباء . ويجـرى انشاء محطة قدرة نووية ذات ١٠٠ر٠٠٠ كيلو وات من القدرة النافعة .

وفى بريطانيا ، افتتحت فى أكتوبر ١٩٥٦ منشأة كالدرهول لانتاج القـــدرة النووية . والمفاعل البريطانى مهـدأ بالجرافيت ومبرد بالغاز وقد بلغت التكاليف الفعليـــة للمنشأة ١٦½ مليون جنيه . وسيتم عام ١٩٦٥ بناء اثنتى عشرة محطة لتوليد القـــدرة النووية طبقا لبرنامج الحكومة الخاص بالقـــدرة النووية . والحافز الرئيسى لهذه السرعة فى التطور هو أن مصادر بريطانيا من مواد الوقود المألوفة وهى الفحم والزيت والغاز والماء محدودة ، ومن ثم كانت حاجتها الى وقود اضافى بديل أشد ضرورة والحاحا منها بالنسبة لبلاد مترامـيـــة الأطراف كالولايات المتحـــدة أو روسيا التى لا يزال عندها احتياجات كبيرة من الوقود المألوف .

ولم تتابع الولايات المتحـــدة فى سرعة كبيرة تشييد منشآت توليد القدرة النووية الصناعية لسببين الأول عظم مصـــادر القـــدرة المألوفة والثانى حرصها على التحديد الاقتصادى الدقيق للأعمال . وخطة المسئولين الأمريكيين فى هـــذا الصدد هى استكشاف امكانيات أنواع كثيرة من المفاعلات ليصلوا الى اختيار افضلها . وبتوجيه جهودهم الى البحث عوضا عن توجيهها الى اقامة المنشآت فى الحال ، فانهم يأملون فى التوصل مستقبلا ، الى تصميمات ذات كفاية ممتازة غير عادية تثبت تفوقها وقـدرتها . والمفاعلات التى تشيد الآن فى الولايات المتحـــدة لتجرى عليها البحوث تـستخدم مهدئات ومبردات مختلفـة كالماء العادى والماء الثقيل والجرافيت والصوديوم السائل .

وعرض الـكتاب بعـد ذلك الى استخدامات النظائر المشعة فى الصناعة الآلية ، فقد مكنتنا تلك الآلات الدقيقـة من متابعة الخطوات والمراحل لكثير من العمليات التكنولوجية بدقة متناهية لم تكن متاحة بالوسائل العادية . وان التطبيقات العملية للنظائر المشعة فى الصناعة لا تفتأ تنمو وتنتشر باستمرار فى اتجاهات جديدة متعددة .

ثم تحــدث المؤلف عن الطرق المستخدمة فى استكشاف اليورانيوم والبحث عنـــه ووسائل

استخلاصه من خاماته ، والاحتياطات اللازمة لوقاية العاملين فى هذه الصناعة الجديدة .

وبعد ، ان هذا الكتاب لابد أن يقرأه المسئولون عن الصناعة فى بلدنا ، والعاملون فى هذا الميدان من مهندسين وعلميين واقتصاديين حتى يمكنهم أن يتابعوا المشروعات الهندسية العالمية للقدرة النووية ؛ وحتى يمكنهم أن يطوروا صناعاتهم ويستخدموا الأساليب الفنية الجديدة ... ان الآلات والمواد التى خرجت الى حيز الوجود من أجل استخدامها فيما يتصل بالطاقة النووية ستجد لها منافع واستخدامات فى الصناعات القديمة ، ولنذكر مثلا لذلك ... ان عدادات جيجر التى تمت وتطورت أثناء دراسة الطبيعة النووية تستخدم الآن فى صناعة البترول بكميات كبيرة ، فالأساليب الفنية للصناعة النووية ستطبق وتنفذ فى الصناعات القديمة ، فعلينا أن نتابع التقدم ، ونتابع التطور ونسير مع الركب مسلحين بالعلم والمعرفة والوعى ... وفقنا الله جميعا الى خدمة الوطن العربى الكبير ..

جمال الدين محمد موسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سطور من كتاب ...

« لكى نحكم على دانتى يجب أن نرفع انفسنا الى مستواه . ليكن مفهوما تماما اننا ، من الناحية الواقعية ، لسنا دانتى وليس دانتى نحن ، ولكن فى لحظة الحكم والتعامل هذه تتشابه روحنا مع روح الشاعر ، وفى هذه اللحظة نصبح نحن وهو شيئا واحدا » ..

... علم الجمال والنقد الحديث

تكيّف الكفيف

هذا كتاب ألفه أمريكيان هما « هكتور تشيڤنى وسيدل بريڤرمان » ، ونشراه بمدينة نيويورك سنة ١٩٥٠ ، وقام بترجمته الى العربية الدكتور محمد عبد المنعم نور مدير المركز النموذجي لرعاية المكفوفين بالزيتون ، فهو ذو صلة بموضوع الكتاب وله دراية فيه ، وقام بمراجعته الدكتور عبد الحميد يونس ، وهو من المكفوفين المعاصرين اللامعين ، وممن اتصلوا فكريا وعمليا بتوجيه المكفوفين فى بلادنا .

وقد طبعت الترجمة العربية فى « مطابع البلاغ » ، ونشرتها مؤسسة مطبوعات آلبلاغ سنة ١٩٦١ ضمن سلسلة « الألف كتاب » باشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ، بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وتقع الترجمة فى أربعمائة صفحة من الحجم المتوسط .

وقد جاء فى صدر الكتاب كلمة لجوتة تعتبر كالشعار يقول فيها : « اذا ظن احدهم أنه حر لا يلبث أن يجد أنه مقيد ، فاذا ما كان شجاعا واعترف بقيده ، كان ذلك بداية شعوره بالحرية » .

وهذا الشعار مناسب لموضوع الكتاب ، لأن كف البصر قيد يصيب الانسان ، فاذا تجاهل هذا القيد ولم « يتكيف » معه كان بلاء عليه ، وزاده قيودا الى قيده ، كما انه اذا استسلم للقيد وجمد داخله أسلمه الى اليأس والقنوط .

ولقد تحدث الكتاب خلال صفحاته الأربعمائة عن موضوعات كثيرة منها : التكيف والعاهات ــ التكيف العاطفى ــ بيئة الكفيف ــ البصر والجمال ــ المغالاة فى تقدير البصر ــ الاندماج فى المجتمع ــ الكتابة البارزة ــ تشابك الحواس ــ الانفعال النفسى عند المكفوفين ــ الطفل الكفيف ــ العناية بالكفيف قبل كف البصر وبعده ــ انعزال الكفيف عن المجتمع ــ مؤسسات الرعاية للمكفوفين ــ من يصلح لتدريب المكفوفين .. الخ

والفكرة المسيطرة على الكتاب هى الدعوة الى اشراك المكفوفين فى المجتمع ، وتدريبهم على أعمال تفيدهم وتفيد غيرهم ، كما يحاول الكتاب أن يثبت أن المكفوف رجل طبيعي كالمبصر ، وان مشكلاته الشخصية لا تختلف عن مشكلات الناس التى يقابلونها فى حياتهم وتجاربهم .

ويقول المؤلفان « ان هذا الكتاب محاولة لهدم الخرافات القديمة التى شاعت عن الحياة العاطفية للمكفوفين ، ولكنه فى الوقت نفسه محاولة لاضافة معلومات ايجابية خاصة بنشاط المكفوفين عقليا وجسميا ، وسيتناول بالبحث الدقيق ما هية الأمور التى يجب على المكفوفين التكيف ازاءها » .

والواقع ان الكتاب جهد كبير ، وعلى الرغم من اشتغالى بالبحث فى موضوعات المكفوفين منذ اكثر من عشر سنوات ، وتأليفى فيها كتابا بعنوان : « فى عالم المكفوفين » من جزءين فى ثمانمائة صفحة ، فقد استفدت من الكتاب أمورا كثيرة .

ويلاحظ الكتاب ملاحظة أساسية تتحكم فى توجيه بحثه ودعوته ، وهذه الملاحظة هى أن محاولة الناس الانتفاع بجموع المكفوفين وطاقاتهم وجهودهم قد تأخرت كثيرا خلال قرون التاريخ ، وكان الواجب أن تسبق وتتقدم زمنيا ، حتى لا يظل المكفوفون كل هذه العصور معزولين محرومين بلا عمل ولا هدف ! .

***

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تأليف : هيكتور تشيفتى ، سيدل بقرمان
ترجمة : الدكتور محمد عبد المنعم نور
مراجعة : الدكتور عبد الحميد يونس

مشروع الألف كتاب بالاشتراك مع مطبوعات البلاغ ، ٣٩٧ ص ١٤ × ٢٠ سم .
ث ٥ر٣٣ قرشا

والكتاب عنوانه « تكيف الكفيف » ، فما معنى التكيف ؟ .

ان المؤلفين يشيران هنا الى قصور اللغة وعدم دقتها أحيـــانا فى اعطاء الكلمات المضبوطة التى تؤدى المعنى المراد بدقة وكمال ، مع أنه « يجب أن تحمل التعبيرات معانى دقيقة محـــددة ، والا أصبح تنظيم المعلومات بطريقة تجعلها واضحة للجميع أمرا ميئوسا منه » .

والتكيف معنى يشمل جهات كثيرة : ولذلك نرى الباحثين يخصون هذه الكلمة بوصف مميز ، ليحددوا المجال الذى يتعلق به التكيف المراد لهم ، فيقولون مثـــلا : « التكيف الاجتمـاعى » أو « التكيف الاقتصادى » أو « التكيف البدنى » الخ ..

وقـــد عرف الـكتاب « التكيف » بأكثر من عبارة ، فقال عن تكيف الكفيف أنه « خلاصة رد الفعل عند الشخص الذى يفقد بصره » ، وقال عن تكيف الانسان بصفة عامة : « التكيف هـو قبول الفرد لما يعرف أنه حقيقة ورضاؤه به » . ثم قال عن التكيف بالنسبة الى الفرد سواء أكان مبصرا أم كفيفا هذه العبارة :

« ان التكيف فى كل عضو حى عملية مستمرة تقريبـــا ؛ ومع كل تغيير فى البيئة الطبيعية تدعو الحاجة الى التكيف ، فالتغيير من الحر الى البرد ، ومن الارتفـــاع الى الانخفاض ، ومن الليل الى النهار ، ومن غذاء الى آخر ؛ كل هذه وأمثالها تجعل العملية مستمرة .

والحاجة الى التكيف تنبعث من عوامل داخل جسم الانسان نفسه ، ومن عوامل خارجية أيضا فالتغيرات الهرمونية فى دور المراهقـة مثلا تدعو الى اعادة تنظيم القوى . وفى الانسان بنوع خاص تعظم الحاجة الى اليقظة الدائمة ضد أى تغير ، وهو ممكن أن يحدث فى أى وقت .

وعمليـــة التكيف هـــذه تشغل كل الجهاز اللاارادى فى الانســـان وجـزءا كبيرا من عقله الواعى . أما الغرض من هذه العملية فهو بعبارة بسيطة الاحتفاظ بالمعيشـــة فى أحسن حالاتها ، وأما الباعث الى ذلك فهو بعبـــارة بسيطة أيضا غريزة حب البقاء » .

ونستطيع أن نقـــول ان تكيف الـكفيف هو تقبله لحالته التى صـــار اليها ، مع عدم سكوته عليهــــا أو جموده معهـــا ، بل هو يتغلب على الصعوبات التى تنشأ عن فقد البصر ، ويحاول

ان يحتفظ بخطواته فى طريق الحياة على قدر ما يستطيع .

واذا كانت هناك دواع تدعو الانسان الى التكيف المستمر ، كداعى غريزة حب البقاء ، وداعى تعويض الحاسة المفقودة ، وداعى الملاءمة مع البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وداعى التخلص من المآزق والشدائد ، فانه لا ينبغى أن نترك الكفيف لهذه الدواعى وحدها ، فقد يتأبى عليها لخوف أو قلق أو استسلام أو عناد او يأس ، بل « ان تقديم » فرصة التكيف كاملة للكفيف ، وفرض الضرورة الملحة عليه للتكيف ، وازالة عوامل الخوف تحت ارشاد الأخصائيين » كل هذا يعاون على تكيف الكفيف تكيفا سليما ، وينتج عنه استجابة عظيمة من المكفوف فى غالب الأحيان ! .

***

ويبدأ الكتاب بعبارة تذكرنا بالقول المشهور : « مصائب قوم عند قوم فوائد » فنحن نشكو من مادية العصر الذى نعيش فيه ، ولكن المكفوف يفرح لهذه المادية من بعض الجهات ، وليس فرحه هنا ناشئا عن استخفافه بالنواحى الروحية والأدبية ، فقد يكون المكفوف اكثر احساسا من سواه بهذه النواحى ، ولكن هذا العصر هيأ للمكفوف آلات وأجهزة كثيرة جعلته يتمكن من التعلم والتثقف والمشاركة الواسعة فى الحياة ، ومن هذه الآلات جهاز الكتابة البارزة ، والمذياع ، وآلات التسجيل ، والكتب الناطقة ، وغيرها من وسائل التعليم والتدريب فى مدارس المكفوفين ومعاهدهم الحديثة . ومن الواجب استغلال هذه الآلات على أوسع نطاق فى تكيف الكفيف .

والكتاب يشير الى قيمة البصر ، والى قوة اعتماد الانسان عليه فى الادراك وفى التصرف ، فهو عنده كالقائد للجهاز الحسى : « والنظر له اهميته الكبرى بالنسبة للانسان ، فقد استرشد به فى بناء الحضارة ، الا أنه لا يقنع بأهميته الحقيقية ، بل يغالى فى تقدير صوره فى الحياة ، ويعزو اليه من القيم مالا دخل له بها ، وهو يتجاهل ما تنقله اليه الحواس الأخرى من المعلومات ، بل ينسب هذه المعلومات الى بصره فقط ، ويظن الانسان دائما أنه قد رأى ما سمعه أو شعر به ، كما أنه يعتبر ما سمعه أو شعر به صورة بصرية .

وبالرغم من أن البصر يتأخر ظهوره فى نمو الطفل ، الا أنه يحتل بسرعة مكان القيادة بالنسبة للجهاز الحسى ، ونجد ان الانسان يميل الى الخلط بين قدرته على الادراك وقدرته البصرية » حتى فى الأساليب والتعبيرات نجد الانسان يستعمل كلمة « الرؤية » ومشتقاتها فى المعقولات والمعنويات ، فيقول : « فلان يرى المقصود » أو « يرى المعنى » أو « يرى القضية » ... الخ .

ولكن هذا البصر الذى يعطيه الانسان كل هذه الأهمية ليس هو كل شئ فى حياة الانسان ، ومع منافعه التى لا تجحد توجد له أخطار واضرار ، فهناك « انحرافات جنسية بصرية » ، والكتاب يضرب على ذلك مثلا من حالة الطفل الصغير ، فهو « محب للاستطلاع بفطرته ، وهو شغوف بمعرفة كل الحقائق المحيطة به ، ولكن الحقائق الجنسية محظور اطلاعه عليها ، وهذا الحظر يعطى الطفل أول فكرة عن أن موضوع الجنس جزء منفصل عن الحقيقة .

وقد تؤدى المعاملة الطائشة أو القمع او العقاب أو غيرها من الطرق التى قد تستعمل فى مثل هذه المواقف الى تثبيت غريزة التجسس على ما هو محظور ، بحيث تظل على نفس المستوى الذى كانت عليه فى الطفولة طول حياة الفرد ، ويظل حتى آخر ايامه يشعر أن شيئا مهما من المعلومات قد حجب عنه . وقد يكون هذا التثبيت للغريزة بسيطا أو شديدا ، وقد يمكن التغلب عليه بحكمة فى سنوات الطفولة التالية .

أما فى حالة عدم التغلب عليه فيؤدى ذلك الى احد أمرين : اما أن يظل الانفعال الخاص بالبصر دون اشباع ، مهما نظر البالغ الى ما منع عنه وهو طفل ، وقد يبحث عن مناظر اشد تأثيرا بأمل تقوية غريزته ، أو قد يعلى هذا الدافع الى التطلع ، محولا اياه الى النواحى الاجتماعية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المفيدة ، ومقدما للمجتمع لونا آخر من التجسس المفيد ، كالتعرف على المجهول ، ومثل هؤلاء بعض أطبائنا النفسانيين الممتازين » .

وبعد أن يتحدث الكتاب عن أنواع كف البصر يشير الى نوع منـــه ، هو كف البصر النفسى بسبب هزة عصبية ، وهو يعتبر « كظاهرة من الأمراض النفسية التى تحدث فى أثناء الحروب ، وسبب هذه الظاهرة هو التوقف المباشر لقوة العصبية ، يؤدى الى كف البصر دون حدوث أى تغيير محسوس فى العين ذاتها ، وتحدث هذه الظاهرة كتحقيق للرغبة فى الهروب من موقف صعب لا يمكن احتماله أبدا ، ولو لفترة محدودة ، وحدوثها يعطى للفرد سببا وجيها للتقهقر دون اثارة أى شـــعور بالذنب الذى يصاحب التهرب .

ويحـدث كف البصر النفسى أيضـا كعقاب مباشر اذا ما رئى الفرد ، أو اذا ما كان الرائى للمحظور رؤيته ، وهذه الحالة تشبه حالة عقدة الاخصاء .

فالحقيقة والصراع الذى ينشأ نتيجة ادراكها أو عـــدمه هى المجال الذى تنشأ عنه المتاعب النفســـية للعين ، وتنمحى عادة الحقائق التى لا يمكن مواجهتهـــا ، أو التى يجب عـــدم مواجهتها » .

ويقـــرر الـكتاب أن الاضطرابات البصرية والأمراض الخطيرة للعين تحـدث من الانحراف الجنسى ، أو من نزوات الفسق ، أو الكبت ، أو الخوف والرهبة ، أو الفشل فى الحب ، أو الشعور بالذنب .

ويلاحـــظ أن كلمتى « الظلام » و « النور » يشيع اسـتعمالهما فى مجال المكفوفين ، بحيث أصبح من العسير نزعهما لو اردنا ذلك أو حاولناه ، ومن النادر ان نجـد كتابا يعالج أى مشكلة من مشكلات المكفوفين دون أن يحمل عنوانا يشير الى الظلام ، واذا تحـدث الكتاب عن أمل من آمال المكفوفين استعمل كلمة « النور » أو « الضياء » ، وأكبر جمعية لخدمة المكفوفين فى أمريكا تسمى نفســـها « المنارة » ولليهود فى أمريكا معهـد للمكفوفين كتبوا على واجهته : « الى كل الذين أودعوا الظلام فى عالم كله جمال باهر نقـــدم النور » .

ويعلق الكتاب على أمثال هذه العبارات والألفاظ بقوله : « ان أمثـــال هـــذه العبارات وان بدت لذيذة على السمع ، الا أنها تعمل على تأييد فكرة بقـــاء المـكفوفين فى حالـة من الظلمة والكآبة الدائمتين ، كما أنهـــا توحى على الدوام بفكرة الفراغ » .

وكأن المراد من وراء ذلك التعليق هو الحرص على عدم اشـعار المكفوف بأنه يعيش فى ظلام ، بينما غيره يعيش فى النور ، مع أن المكفوف منذ ولادته لا يشغل نفسه كما نشغل نفوسنا بالنور والظلام ، وانما ينبغى أن نحرص على هذا كيلا نشعر المكفوفين بمعـــانى الحرمان فيميل الى القنوط فيصعب تكيفه مع المجتمع .

***

ثم ان التكيف درجات .

يلاحظ الكتاب فى براعة أن الذى كف بصره نهائيا يكون اقرب الى التكيف وأقدر عليه ممن كف بصره كفا جزئيا ، ويقول : « الواقع أن من يفقـــدون البصر تماما هم أسرع المـكفوفين فى التكيف » ، وكان من واجب الـكتاب أن يعلل لذلك ، ويبدو أن السبب هو ان المكفوف نهائيا قد استقر على وضع ، وقديما قيل : « اليأس احـدى الراحتين » فهو يبنى تكيفه على حالته التى بلغت نهايتهـــا ؛ واما الذى يملك جزءا من البصر فانه يشـــعر بالحـــيرة والاضطراب ، اذ لا يسهل عليه أن يعتبر نفسه مكفوفا نهائيا ، كما لا يستطيع أن يتصرف تصرف المبصر الكامل ، ولذلك يتأرجح حينا أو احيانا بين الطرفين ! .

ولقد تحدث الكتاب عن تاريخ انشاء المدارس للمكفوفين ، وقد بدأ انشاء هذه المدارس فى أواخر القـــرن التاسع عشر ، حيث افتتح « فالنتين هـــوى » الفرنسى مدرســة لهم بباريس سنة ١٧٨٤ ، ثم قاده « جـــوهان كلين » النمساوى بانشاء مدرسة فى فينـــا سنة ١٨٠٤ ، ثم انشأ « صمويل جريدلى هاو » الأمريكى مدرسة ثالثة

فى الولايات المتحدة سنة ١٨٣٢ ، ثم اخـذت مدارس المكفوفين تذيع وتشيع ، وتبذل جهودها المختلفة لتكييف المكفوفين وتوجيههم وتعليمهم وتدريبهم وتمكينهم من اخذ حظوظهم من فرص الحياة .

و « هـوى » الفرنسى أول هـؤلاء الثلاثة السابقين هو الذى اخترع طريقة ابراز الحروف من أى نوع كانت على الورق للمكفوفين . وقد تحدث الكتاب بهذه المناسبة عن « لويس برايل » الفرنسى المولود سنة ١٨٠٩ والذى فقد بصره وسنه ثلاث سنوات ، واهتم بالمكفوفين ، واخترع طريقـة فى الكتابة البارزة التى اشتهرت بين المكفوفين ومعلميهم باسم « طريقة برايل » ! .

ويلاحظ الكتاب أن تاريخ المكفوفين قد مر بثلاث مراحل تعرضوا لها تباعا ، والمرحلة الأولى هى مرحلة التسول والشحاذة وحرمان الكفيف من التقـدير والعمل ، والنظر اليه على انه بائس مسكين لا يستحق غير الرثاء والاشفاق ، والمرحلة الثانيـة هى مرحـلة الملاجىء والجمعيات والمستشفيات وبيوت الصـدقة والاحسـان ، والمرحلة الثالثة هى مرحلة الاندماج ، أى مرحلة احتلال الكفيف لمكانته فى المجتمع .

ومما يجب أن يرسخ فى أذهاننـا ويتأكد فى مفاهيمنا ان الرثاء والشفقة والصدقة ليست هى الوسائل الفعالة المجدية لعلاج مشكلة المكفوفين ، بل قد تضر هذه الوسائل أحيانا اكثر مما تفيد ، ويرى الكتاب أن الرثاء الذى يوجهه الناس الى المكفوفين يقف حائلا بينهم وبين التكيف ، لأنه يكسو المكفوفين برداء من الكآبة والسقم ، ويعمل على عزلهم عن الهيئة الاجتماعية .

ثم يقول الكتاب : « على أن الكفيف يحس بعطف أخيه الانسان عليه ويقدره ، وفيما يراه من دليل على حسن النيـة والمحبة يجد اكبر تعويض على فقد عنصر هام فى الحياة ، أما الرثاء فيـدركه على الفور ، فهـو قسـوة مستترة ومتولدة عن الخوف ، تهـدم ما يبنيه العطف والرحمة .

ان الشفقة تجد رمزا لها فى الكفيف الذى — بعد مغادرته للمدرسة التى تعلم فيها — يمشى بخطوة ثابتـة وسرعة متزنة نحو غايتـه التى ينشدها ، الا وهى أن يحتل مكانه بين المبصرين ؛ أما الرثاء فيتمثل فى ذلك المتسول الذى يذرع الطرقات بملابسه الرثة وعلامات البؤس بادية على وجهـه ، ويحمل آلة موسيقية مثبت بها صندوق صغير معدنى يلقى فيه المارة ما تجـود به نفوسهم ، وهذا المسكين يمر بين الجموع وفى قلبه كراهية لنفس الأشخاص الذين تهز مشاعرهم مأسـاته الأليمـة ، وفى نفسه تصميم على ان يستولى منهم على كل ما يستطيع مظهره هذا ان يخرج من جيوبهم » .

***

والواجب علينا تجاه الكفيف أن ندفعه الى الحركة منـذ بداية الطريق حتى لا يركن الى الجمود والخمول والانزواء ، ولا ضير اذا اصطدم بجسم صلب وهو يتعود الحركة والتنقل ، فان كل الأطفال معرضون لأمثال هـذه الصدمات ، ولو منعناهم من الحركة لوقايتهم من أمثـال هـذه الصـدمات لما تعلموا الحركة أبدا ، ولو تركنا الطفـل الكفيف دون أن نعوده على الحركة لجلس ساكنا لا يتحرك معظم وقتـه ، وهـذا يضيق دائرة اختباره ، ويحد من نمو جهازه العصبى وحينئذ تصدق الملاحظة الواردة فى دائرة المعارف البريطانية التى تقول ان فقدان البصر يؤدى بطريق غير مباشر الى الجمود وعدم الحركة ، فاذا لم نشـجع الطفل الكفيف على الحركة بقى منزويا وحده فى سكون ، واذا ما غادر مكانه تحرك بخوف وجبن ، وهـذا الجمود الجسمى له آثار سيئة ، فضلا عن أنه يعطل النمو العقلى .

والمكفوف يستطيع أن يتعلم الحركة فى سهولة ويسر فى محيطه المعروف لديه اذا لم يمنع من ذلك ، وهو يستطيع بهـذه الحركة أن ينسق قواه ، ويسـتخدم أعضـاءه ، ويهيىء نفسه للمشاركة فى الحياة .

وعـدم تعويد الطفل الحركة يولد فى الطفـل — كما يذكر الكتاب — الشعور بأنه منبوذ وغير

مرغوب فيه ، والشعور بأنه غير صالح للحياة . وأنه ناقص وغبى ، والأطفال بطبيعتهم يكرهون كرها شديدا أن يظن أحد فيهم أنهم أغبياء .

ويعطى الكتاب أهمية كبيرة لتدريب المكفوفين ، ويلاحظ أن المجتمعات قد أهملت هذا التدريب قرونا طويلة ، بينما كان الواجب أن يأخذوا به منذ عهد قديم ، وأن أهل الحضارة أنفسهم تأخروا فى الأخذ بنظام تدريب المكفوفين ، حتى ان أمريكا التى أخذت بالتدريب فى كل شىء ، لم يبدأ فيها تدريب المكفوفين الا متأخرا .

ويطالب الكتاب بالعناية بتيسير « الكلب المرشد » للكفيف ، وهو الكلب المدرب الذى يصاحب الكفيف فى تحركاته وتنقلاته ، ويجنبه الكثير من الأخطار والمآزق ؛ ويبين الكتاب ما يحتاج اليه استعمال الكلب المرشد من تدرب وصبر ، حتى يمكن الانتفاع بثمراته الكثيرة .

كما يتحدث عن نظام « المصنع المحمى » للمكفوفين ، وهو المصنع الذى تخصصه الدولة للمكفوفين كى يقوموا فيه بانتاج سلع معينة تحميها الدولة من أخطار المنافسة ، ومن التأثر بهزات « العرض والطلب » ، واذا كانت هناك ملاحظات على هذا النظام ، فان الكتاب يقرر أنه طريقة حققت نجاحا كبيرا فى أمريكا .

ويتساءل الكتاب عن الأجدر بتدريب المكفوفين : أهم المبصرون أم المكفوفون ؟ .. « يصر المكفوفون على أنهم — دون غيرهم — يستطيعون القيام بهذه المهمة . ولا شك أن المكفوفين على مر الأجيال هم الذين يرشدون أمثالهم الى عالمهم ، وحديثو العهد بفقد البصر أميل الى قبول الارشاد من المكفوفين منهم الى قبوله من المبصرين . وعندما يحتدم الجدل على هذه النقطة بالذات يصر المكفوفون على أن يكون المعلمون بالمنازل من المكفوفين أيضا .

والجواب عن هذه النقطة من غير اشتراك فى الجدل نفسه هو أن الكفيف عدم النفع كالمبصر أو أقل نفعا منه اذا كان لا يعرف كيف يدرب زميله ، وقبل أن يمكن الاستفادة من طرق التدريب يجب أن يكون هناك مرشدون مدربون » .

ولا ينسى الكتاب أن يشير فى عناية الى المؤتمر الدولى للمكفوفين الذى انعقد فى اكسفورد سنة ١٩٤٩ ، وهو المؤتمر الذى أصدر وثيقة « حقوق المكفوفين » ، وقد اشتملت هذه الوثيقة على طائفة من الأمور خلاصتها ما يلى :

١ — يجب أن يكون هناك تعريف لكف البصر فى كل الأقطار .

٢ — يجب احصاء جميع المكفوفين فى العالم .

٣ — يجب وضع نظام لتدريبهم وتهيئتهم للعمل .

٤ — لا يصح أن يرفض طلب العمل بسبب فقدان البصر .

٥ — اذا تعرض الكفيف لمنافسة غيره وجب توفير العمل للكفيف فى مصانع خاصة ترفع فيها الأجور الى مستوى المعيشة اللائق .

٦ — يجب توصيل العمل الى البيت للذين لا يستطيعون مغادرة بيوتهم .

٧ — يجب على الأمة أن تضمن الكفيف حدا أدنى للمعيشة على الأقل .

٨ — يجب على الأمة ان تقدم اعانة مناسبة يتساوى فيها جميع المكفوفين لمواجهة التكاليف الاضافية الناشئة عن فقدان البصر ، وأن تنظم هذه المعونة فى برنامج خاص بالضمان الجماعى ، أو تكون ضمن تشريع يتناول المكفوفين وحدهم .

٩ — على الأمة أن تنظم للمكفوفين الذين لا يستطيعون مغادرة منازلهم زيارات وخدمات منزلية ، على أيدى فئة متخصصة تتكون منها نواة من المدربين المؤهلين ، على أن يكون منهم مكفوفون كلما أمكن ذلك .

١٠ — وفيما يتعلق ببيوت المسنين والضعفاء من المكفوفين يجب أن يتوافر فيهـــا الســكن المناسب للمتزوجين ، حتى ولو كان أحد الزوجين كفيفا فقط .

١١ — يجب على الحكومات المحلية أن تتحمل تبعة القيام بهذه المطالب .

١٢ — يجب على الحـــكومات ان تشـجع المجهودات التطوعية لخدمة المكفوفين وتعاونها .

١٣ — يجب أن تعطى الفرصة الكاملة فى كل وقت لكى يعرب المكفوفون عن آرائهم ورغباتهم .

١٤ — يجب أن يقوم بتعليم المكفوفين أساتذة مشهود لهم بالكفاية ، حتى يستطيع المكفوفون ان يسهموا فى حياة المجتمع اسهاما كاملا ، ويعملوا على تقويته .

***

هـذا وفى الكتاب طائفة من الآراء والملاحظات جديرة بالنظر والتأمل :

منها انه يربط بين العنـاية بالمكفوفين ووقوع الحروب العامة ، والسبب فى ذلك هو كثرة من يفقد بصره من ضحايا هذه الحروب ، وخصوصا بعـد استعمال الغازات والمفرقعات والقنابل فى تلك الحروب ؛ ولقد انشىء معهد لمكفوفى الحرب فى بريطانيا ، وآخر فى أمريكا خلال الحرب العالمية الأولى ، وكذلك ازدادت العناية بالمكفوفين خلال الحرب العالمية الثانية وعقيبها .

وبعض الذين يعنون بالمكفوفين يستجيبون فى هذه العنـاية لحوافز تتصل باصابتهم ببعض وجـــوه النقص الحسى فى بدنهم أو صحتهم ، ولذلك يربط الكتاب بين عناية الرئيس الأمريكى « روزفلت » بالمـكفوفين وبين اصـــابته بشلل الأطفال ! .

ومن هذه الآراء دفاعه عن المكفوفين فى الناحية الخلقية ، فيقول : « الرأى المتطرف القائل بأن المكفوفين بوجه عام ميـالون الى الفساد الخلقى لا أساس له من الواقع » . وقد سبق لى فى سنة ١٩٥٦ أن قلت فى الجزء الأول من كتابى « فى عالم المكفوفين » ضمن فصـل طويل عن اخلاق المكفوفين هـــذه العبارة : « حين ننظر فى أمر الأخلاق عند المكفوفين نجد أنها شغلت من حياتهم جانبا كبيرا ، واســتأثرت من عنايتهم بنصيب جليل ملحوظ وحين نراجـــع تراجم المكفوفين السابقين نجـــد أكثرهم قد احتفظوا بمقومات اخلاقهم ، وعصموا أنفسهم من الخنا والسوء ، ونجد التاريخ يصفهم بجمال الشيم وعلو الهمم ، ومنهم قلة حادت عن هذا الصراط ، وذلك شأن كل مجموعة من النــاس ، يوجد فيها الطيب والخبيث ، ولكن العبرة بالأكثرية والأغلبيـــة ؛ والتـــاريخ يحدثنا بأن أكثر المـكفوفين فى أغلب عصوره كانوا ممن يحرصون على تهذيب نفوسهم ، وتجميلها بالطباع الكريمة والأخلاق السليمة » .

***

ومن الأمور اللافتة للنظر فى الكتاب أنه يصحح الرأى الشـائع الذى يقول ان كف البصر يزيد فى القوة الجنسية ، واذا كانت هذه الناحية تبدو على كثير من المكفوفين ، فليس ذلك راجعا الى كف البصر ، وانما السبب فيها هو اعتياد الجلوس والفراغ ، واعتيـاد الفراغ يساعد عند المبصرين والمـكفوفين على ارتكاب الرذائل وبخاصـــة الجنسية منها ، ولعل هذا الرأى يؤيده قول الشاعر العربى :

ان الفراغ والشـباب والجدة
مفســـدة للمرء أى مفســدة !

بل يلاحـظ الكتاب أكثر من هـذا ، وهو أن البصر عامل له قوته فى الاستثارة الجنسية ، ويتوسع فى هذه الملاحظـــة حتى يقول : « من الواضح أن العين قد تســـتبدل وتصبح رمزا للأعضاء التناسلية عند الذكر أو الأنثى ، ولا شك أن سبب عمليـــة الاستبدال هذه هو الشعور بالذنب والخوف من العقاب الاجتماعى ، وبذلك يمكن أن ترمز العـين للعضو التناسلى بحيث تولد لذة جنسية » . وهذا القول يذكر بما جاء فى الحديث النبوى الشريف : « العين تزنى » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتحدث الكتاب عن العين الحاسدة وقوة تأثيرها ، فيقول : « ان العين ليست قادرة على استقبال الشر فحسب ، بل هى قادرة على نقله ايضا ، فالبصر يستوعب ويسقط معا » .. وهذا الكلام يذكرنا بالحديث النبوى القائل فى شأن تأثير العين الحاسدة : « ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر » .

وينقل الكتاب عن « جرنياكر » رأيا مثيرا هو أن العين أقل أجزاء الوجه تعبيرا عما فى نفس صاحبها ، ولا شك أن هذا الرأى يثير دهشة ، وبخاصة دهشة الشعراء الذين طالما تحدثوا عن أنباء العيون ! .

ويلح الكتاب فى انكار ما هو شائع من أن المكفوف تنمو فيه حاستا اللمس والسمع ، بل ينكر نظرية « التعويض » عند الكفيف ، ويعتبرها زعما باطلا ، ولكن الكتاب يعود فيخالف ذاته حين يذكر أن حاسة السمع عند الكفيف تقوى قوة غير عادية ، وقد تحدثت عن هذه الناحية بتوسع فى الجزء الأول من كتابى « فى عالم المكفوفين » ، وأوردت عشرات من الشواهد التاريخية السابقة والمعاصرة على أن حواس الكفيف تقوى بسبب فقدان البصر ، وقد قلت فيما قلت .

هناك من يعتقد أن الله سبحانه يهب المكفوف قوة من عنده ، يستطيع بها أن يكون ذكيا دقيق الاحساس والادراك ، ويعارض فى ذلك الاعتقاد بعض الباحثين ، ويرى أن الأمر لا يعدو استغلال ملكات ومواهب عند المكفوف ، فهو حين يفقد بصره يعمد الى غير البصر من حواسه يستخدمها ويستغلها ويثير قواها ، فيكون له من وراء ذلك الاستغلال دربة وحيلة وحسن تصرف .

ويقول ذلك البعض : نحن لا نثبت للمكفوفين قدرة خارقة فيما يتعلق بالذكاء او الادراك ، ولكننا نرى أن تدريب الحواس ، مع الرغبة ، مع حضور الذهن ، مما يؤدى الى براعة المكفوف بهذه الصورة ، حتى ليبدو أحيانا وكأنه أبرع من المبصر » ! .

***

ويقرر الكتاب حكما يحتاج الى مراجعة وتمحيص ، فيقول ان الأديان كلها ذكرت كف البصر كعقاب سماوى ؛ ولا يمكن قبول هذا الحكم على اطلاقه ، لأن الدين الاسلامى لا ينظر الى كف البصر هذه النظرة ، وقد تحدث القرآن عن كف البصر الذى أصاب أحد أنبيائه ، ولا يوجد فى هذا الحديث ما يشم منه رائحة التذكير بالعقاب ، بل جاءت فى القرآن سورة تدور حول الكفيف ، وفيها تقدير للكفيف وتنويه به .

والقرآن الكريم يقول : « ليس على الأعمى حرج » وأخبر الرسول أن من فقد بصره فى سبيل الله لا يدخل النار ، والحديث القدسى الذى يرويه الرسول عن ربه يقول : « اذا أخذت كريمتى عبدى (أى عينيه) فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة » . ويمكن للقارىء أن يعود الى فصل « أسباب كف البصر » فى الجزء الأول من كتاب « فى عالم المكفوفين » ، وفصل « الرسول والمكفوفين » فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ليرى أن نظرة الاسلام يختلف اختلافا واضحا عما قرره كتاب « تكيف الكفيف » فيما يتعلق بنظرة الأديان الى كف البصر .

***

ومن الملاحظات التى نلاحظها على الكتاب أنه قال بعد أكثر من مائة صفحة من صفحاته هذه العبارة :

« وبين اليهود استطاع بعض المكفوفين أن يصلوا الى مستوى خاص بوساطة حفظ الشريعة عن ظهر قلب ، وحدث مثل ذلك أيضا فيما بعد البلاد الاسلامية » .

هذه أول اشارة ترد فى الكتاب الى المكفوفين فى المجتمع الاسلامى ، وهى اشارة لا تكفى ولا

يحوى مئات الأمثلة على نبوغ المكفوفين المسلمين تغنى ، فان تاريخ المكفوفين فى العالم الاسلامى فى الحفظ وغيره ، وهناك الظاهرة الواضحة فى المجتمعات الاسلامية ، وهى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، واكثر حفاظه من المكفوفين ، وبالرجوع الى كتاب « فى عالم المكفوفين » نجد تراجم لأكثر من مائة وخمسين علما من أعلام المكفوفين الاسلاميين الذين نبغوا نبوغا منقطع النظير ! .

ويقول الكتاب أن الناس فى الماضى كانوا يعتقدون انه « ليس من طاعة الخالق أن يوفروا للمكفوفين عملا » ، وهذا حكم يسوده التعميم ، وينقصه الدليل ، وتهون المغالاة من قيمته ! .

***

وبقى أن نقول كلمة عما للمترجم وعما عليه :

لقد أحسن المترجم بترجمة هذا الكتاب ، لاحتياجنا اليه والى أمثاله ونحن نحاول أن نلحق بالذين سبقونا فى مجال خدمة المكفوفين وتوجيههم وتدريبهم ، وقد بذل المترجم مجهودا مذكورا فى هذه الترجمة ، وان بدت بعض العبارات أو الفقرات يعتورها نصيب من الغموض أو التفكك ؛ وذلك بحكم التخلخل الذى ينشأ عن التفاوت بين الكتاب فى لغته الأصلية ، والكتاب فى لغة يترجم اليها ، ولكن هذه الملاحظة لا تبخس جهد الترجمة وقيمتها .

وكنت أتمنى لو أن المترجم وضع بين يدى الكتاب مقدمة يبين للقارىء العربى الأسباب الذى دعت الى اختيار هذا الكتاب للترجمة ، والفائدة المرجوة من وراء نقله الى اللغة العربية ، والمنهج الذى سار عليه المؤلفان فى كتابهما ، ولكنى فوجئت فى أول الكتاب بالعنوان ثم الاهداء من المؤلفين ، ثم الدخول فى النص المترجم ! .

وتمنيت لو أن المترجم عرفنا بالمؤلفين ، وأحدهما كفيف ، والآخر مبصرة تدير عيادة نفسية ، وهما أمريكيان ، وهذه الأمنية تذكرنا بملاحظة تتعلق بها ، وهى أن الكتاب قد ورد فيه طائفة كبيرة من أسماء الأعلام الأجانب الذين لا يعرف القارىء العربى عنهم شيئا ذا بال ، من أمثال هذه الأسماء :

رتشارد فرنش ـ كاتسفورت ـ هارى بست ـ فرانسس كامبل ـ هاينز ـ وايلد ـ ويتكن ـ كنزى ـ كرافت ايبنج ـ فرنشزى ـ هارت ـ هبش ـ هنرى هاربر هارت ـ انجلش ـ بيرسون ـ انمان ـ لندنر ـ مالف ـ ود وارد ـ سومرز ـ كروفورد ـ وغيرهم .

فهلا كان من الخير أن يعطى المترجم لكل منهم تعريفا سريعا فى سطرين أو ثلاثة ، حتى يأنس بهم القارىء ، ويعرف عن كل منهم لمحة تقربه منه ؟ .

ولقد مضى المترجم فى نقل فقرات الكتاب دون أى تعليق أو تفسير ، حتى أتم مائة صفحة اتسمت بما يمكن أن نسميه « الترجمة الصماء » ؛ وفى الصفحة المائة يتعرض المؤلفان لمغالاة بعض الناس فى تقدير وظيفة العين ودلالتها على العواطف الشخصية ، فيقولان : « ان المغالاة فى تقدير العين ووظيفتها فى الأبصار يزيد بشكل ملحوظ الى حد الاعتقاد بأن العين تعبر عن العواطف ، وأنها قد تدل على أخلاق صاحبها ، كما تظهر عيون راقصة ، كما توصف العينان بانهما قاتمتان أو مظلمتان ، أو يمكن فهمهما ، أو كما يقال أحيانا عيون مرحة وعيون حزينة ؛ ومن الواضح أننا ننظر الى العين حينما نريد معرفة سريعة لصفات الآخرين ، والنتيجة التى نصل اليها بهذه الطريقة تعتبر من قبيل الفراسة » .

وهنا ـ ولأول مرة منذ بداية الكتاب ـ يعلق المترجم فى الهامش بقوله : « يذكر بعض الكتاب العرب ، ومن بينهم الدكتور حسين فوزى أن العين تدل الى حد كبير على أخلاق صاحبها ، ولكن الأذن أصدق من العين من هذه الوجهة ، فاذا أغلق شخص عينه ، واستمع لصوت شخص آخر ، استطاع من الصوت وحده أن يتعرف على جوانب شتى من شخصيته » .

وأظن أن الحكم هنــا غير مسلم على « طول الخط » ، فقد تخــدع الأذن كما تخدع العين ، وطالما ســمعنا أصواتا لأناس قبل أن نراهم ، فتصورناهم على أوضاع أو صفات ، ثم رأيناهم بعد ذلك فخابت الظنون ، واتسعت هوة الخلاف بين السماع والمشاهدة ! .

وكان يمكن للمترجم أن يعلق على قول الكتاب ان كرتشمار الألمانى وواج الانجليزى قد سبقا الى جمع تاريخ المكفوفين . كان يمكنه أن يعلق على ذلك بذكر مؤرخ عربى قديم قد سبق الى وضع كتاب فى تراجم المكفوفين ، وهو صلاح الدين الصفدى صاحب كتاب « نكت الهميان فى نكت العميان » الذى ترجم فيه لعدد كبير ضخم من أعلام المكفوفين فى تاريخ العروبة والاسلام .

ولقد ذكر الكتاب أن نسبة المكفوفين فى مصر أربعة أو خمسة فى الألف ، وأنها بلاد المكفوفين ، وكان يمكن للمترجم ان يعلق هنا فيذكر مثلا أن نسبة المكفوفين فى مصر كانت خمسة ونصفا فى الألف سنة ١٩٣٧ ، ولكن هذه النسبة انخفضت الى أربعة فى الألف سنة ١٩٤٧ ، وكتاب « تكيف الكفيف » نشر سنة ١٩٥٠ وترجم سنة ١٩٦١ ولا شك أن نسبة المكفوفين قد تغيرت ، اذ أن جهودا كثيرة قد بذلت لتخفيف نسبة المكفوفين ، ونحن نحاول منذ سنوات التخلص من سبة هذه التسمية : « بلاد المكفوفين » ! .

ولقد ترجم المترجم كلمة « Blind » بكلمة « كفيف » ولم يســتعمل كلمــة « أعمى » أو « ضرير » أو « أكمــه » وهــذا تصرف حسن وقد دعوت الى ذلك بحرارة فى كتابات لى سابقة ، وفى كتاب « فى عالم المكفوفين » ، ولكن المترجم نسى فاستعمل مادة « العمى » بدل كف البصر ، وكلمة « أعمى » أو « عميــان » بدل كلمــة « مكفوف » أو « مكفوفين » ، وذلك مثــلا فى الصفحات ٣٢ ، ١٦١ ، ٢٦٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ... الخ .

وهنــاك عبارات فى الكتاب يحتاج القارىء المتوســط الى شرحها أو تبســيطها ، مثــل : « سيكلوجية اكلينيكية مستقلة » .

ولكن هذه الملاحظات العابرة لا تغض من قيمة الكتاب ، ولا من قيمة الجهد الواضح الذى بذله المترجم فى نقل هذا الكتاب المفيــد الى لغتنا ، لأننا فى أشد الحاجة اليه والى أمثاله من الكتب الهادفة القيمة ! .

أحمد الشرباصى

◎ ○ ◎

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الفرد فى فلسفة شوبنهور

تأليف: فؤاد كامل

دار المعارف ، ٢٩٠ ص ١٤ × ٢٠ سم .

لم يكن لفلسفة شوبنهور وهى الفلسفة التى ترى الوجود خلال صورته لدى الانسان أن تخلو من شرح وتفسير لكيان الفرد . ان العالم هو فكرتى وفكرتك وفكرة الآخرين ولكن هذه الفكرة ليست قسطا مشتركا بقدر ما هى ابداع شخصى للذات حيال الموضوع . ان العالم فكرة . وهذا يؤكد ترابط الذات والموضوع . ولكنه مع ذلك لا ينتقل بين ذوات كثيرين بحيث يخلق نوعا من الانسجام الكلى بين مجموعة من الأفراد . ولهذا كان للفرد الواحد قيمة كبيرة فى فلسفة شوبنهور ولهذا أيضا استطاع فؤاد كامل أن يلتقط هذا الخيط الفريد ليبدأ من عنده النسيج للثوب الأنيق الذى أضفاه على فلسفة شوبنهور .

ومن جهة أخرى نستطيع أن نشعر الى أى حد أراد شوبنهور أن يعارض فلسفة هيجل والى أى حد اكتشف فؤاد كامل هذه المحبة المفقودة فى فلسفة كل من الرجلين فاراد ان يعكسها فى شرحه الدقيق لمعنى الفرد فى الموقف الذى حرص عليه شوبنهور . ففى الوقت الذى أراد فيه هيجل أن يقيم الدولة على أساس الاحساس بحقيقة المجموع وظهور الروح الكلية فى مكان الأفراد نجد شوبنهور على خلاف ذلك ينشىء منصبا كاملا متناسقا مع احساسات الفرد وتصوراته . أو بعبارة أخرى كان هيجل يشرح لتلاميذه أن الرجل لا يستحيل الى حياة فردية الا بمعارضته وباتحاده بالعناصر الأخرى وبكل اللانهائية فى الحياة الفردية الموجودة خارجه . فهو موجود فقط ما دام الكل فى الحياة متقسما بحيث يكون هو جزءا والكل الباقى جزءا آخر . وفى الوقت نفسه انه موجود فقط ما دام غير مكون لأى جزء وما دام لم يفصل منه شىء . فنحن نحيا فى رأى هيجل حياة لا نهائية لتعدد لا نهائى وهذا التعدد منقسم الىمالانهاية له من الاتحادات والانفصالات اللانهائية وليس هذا الكل المنقسم والمتحد الا الطبيعة . والناس عبارة عن تعبير صادر عن هذه الطبيعة . ولم يشغل هذا الجانب من الموازنة بين موقف هيجل وموقف شوبنهور مؤلف الكتاب الا فى لحظة عابرة فى نهاية الكتاب الختامية حين أراد أن يقوم بتحليل شامل لفكرة الفردية والشخصية والدولة والأسرة . فهذه المشكلة لم تأخذ سوى جزء بسيط من اهتمام المؤلف حين قال : ولم تكن النزعات التاريخية غير امتداد لتلك النزعات الطبيعية فى الفلسفة الألمانية ، اذ لم تكن الروح التى تدفع هؤلاء الفلاسفة الى الدراسة التاريخية روحا علمية صرفة تهدف الى دراسة الماضى دراسة نزيهة ؛ فانهم اذا كانوا يريدون بفلسفة الطبيعة ان يجرفوا الكائنات الجزئية فى تيار الحياة الشاملة الكونية ، فانهم حاولوا بفلسفة التاريخ أن يعثروا على جذور الحاضر الضاربة فى الماضى البعيد ليصلوا من ذلك الى كنه الشعب الألمانى ، وليقرروا له ماهية ثابتة لا يعتورها الزمان بتغيير ، وهذه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الروح نتيجة طبيعية لجنون القوميات الذى بلغ اشده فى ألمانيا فى ذلك القرن

ويستمر فؤاد كامل فيقول : ويهمنا من هذه الروح أنها كانت معادية تماما لفكرتى الفردية والشخصية ، وكان « كنت » وتلاميذه يؤلفون فى الميتافيزيقا المذاهب المنافية تماما لهاتين الفكرتين . وقد رأينا أن شوبنهور لم يسام من تأثير هذه الروح ، فأصبح مذهبه محاولة قوية للقضاء على الفردية والشخصية ، وهذا ما حاوله هيجل أيضا تحت ستار « الروح المطلقة » وبرغم التناقض الحاد بين هذين الفيلسوفين اذ يميل أحدهما الى الاتجاه العقلى الصرف ، ويمثل الآخر الاتجاه اللاعقلى ، فانهما يتفقان تماما فى الرغبة الأكيدة التى يشعر بها كل منهما للقضاء على الفردية : هذا بفكرته عن الروح المطلقة وذلك بفكرته عن الارادة .

وهذه هى المرة الوحيدة التى يرد فيها ذكر هيجل بين دفتى الكتاب على الرغم من أنه أقام موازنات كثيرة بين شوبنهور وبين الآخرين . ولكن هذا لم يمنع فؤاد كامل من أن يقدم شرحا وافيا لموقف شوبنهور نفسه من هذه النقطة حين قال فى تذييل صفحة (٩٧) ان شوبنهور كان يفضل الملكية الوراثية اذ توجد فى هذه الحالة أسرة لا تنفصل مصلحتها عن مصلحة الدولة . ومضى فؤاد كامل يشرح الموقف الذى استقر عليه شوبنهور وأشار الى أنه من بين النظريات التى يعارضها شوبنهور النظرية القائلة بأن الدولة وسيلة للسمو بنا أخلاقيا ، وأنها تنشأ عن التطلع الى الفضيلة وانها موجهة تماما ضد الأنانية . فهذا خطأ فى اعتباره لأن الارادة وهى الحرية الخالدة لا يمكن ان يؤثر عليها فعل خارجى أو تدخل أيا كان نوعه . ونظرية أخرى ليست أقل خطأ وهى النظرية القائلة بأن الدولة هى شرط الحرية بالمعنى الأخلاقى ومن ثم للفعل الأخلاقى ، والواقع أن الحرية تقوم عبر عالم الظواهر ، وبالتالى عبر كل الهيئات الانسانية ..

والدولة انما تولد من الأنانية ولكنها أنانية تتعالى فوق وجهة النظر الفردية لتحتضن الأفراد جميعا ، وتعمل لمصلحتهم جميعا ككل ، أى لأنانيتهم ، فهى تفترض مقدما أنانية الأفراد كما أنها لا تعتمد على أخلاقيتهم أو على احترامهم للقانون بدوافع اخلاقية صرفة ، والا لأصبحت الدولة بهذا المعنى شيئا سطحيا ، فهى لا تحارب الأنانية وانما النتائج الضارة التى تنشأ عن الأنانية . ثم يعترف فؤاد كامل فى تذييل صفحة (٩٩) بأن نظرية شوبنهور فى الدولة يشيع فيها التشاؤم كما يشيع فى كل جزء من فلسفته . فالدولة لا تستطيع أن تحقق السعادة الكاملة للأفراد لأن طبيعة الحياة نفسها تقتضى وجود الشر . فاذا تم للدولة نفى الآلام المختلفة التى تكتنف حياة الأفراد ، فانها لن تستطيع أن تطرد الملل الذى يحل محل هذه الآلام جميعا ، واذا



تمكنت من رفع الظلم والخلافات عن أفرادها فانها لن تستطيع منع الحروب ، واذا استطاعت منعها فهى لن تستطيع محو الشرور التى تصاحب ازدياد السكان على الأرض زيادة فاحشة .. وهلم جرا .

ويلخص شوبنهور تعريفه للدولة بقوله : الدولة وسيلة تستخدمها الأنانية المستنيرة بالعقل لكى تتجنب الآثار الضارة التى تنشأ عنها والتى ترتد ضدها . وفى الدولة يسعى الفرد الى الخير العام لأنه يعلم أنه يعود اليه فى نهاية الأمر . فالأنانية هى التى تدفع الفرد أولا وأخيرا الى المحافظة على المجموع .

والواقع أنه لابد لنا أن نمتدح لفؤاد كامل طريقته وأسلوبه الهادىء فى مناقشة كل نظريات شوبنهور التى تتعلق بالفرد . ولا أتصور أن من بين كتاب الموضوعات الفلسفية من يصل الى هذه الدقة والوضوح عند تعبيره عن قضايا الميتافيزيقا . ومع ذلك فلم يقم فؤاد كامل بدور العارض أو الشارح لفسلفة شوبنهور فقط لأنه لم يكن يكتفى بالتعليل والتفسير وكثيرا ما كان ينفذ بعبارة نقدية واضحة الى صميم المبادىء والأفكار الخاصة بشوبنهور . فملاحظاته فى نقد مواقف شوبنهور مستمرة مع عرضه لفلسفته ذاتها وتشعر دائما بشخصية فؤاد كامل وقد استوعبت الموضوع الذى تقدمه الينا فى ثقة واعتزاز .

وهذا لم يمنع أن تمر بعض الأخطاء العرضية فى تناول المصطلحات اعتقد أن المؤلف لم يقع فيها قصدا وأنها جاءت نتيجة تزاحم الأفكار عند مراجعته للكتاب . فكلمة Grundlos الألمانية التى وردت فى صفحة (١٢) كان معناها تماما هو كما ذكره المؤلف بلا أساس . أما فى صفحة (٩٠) من الكتاب فيقول المؤلف : فلماذا اذن يجعل شوبنهور نزوع الارادة يقتصر على الشر وحده ؟

واذا كانت الارادة شرا ، فكيف يمكن أن يوجد الخير فى الوجود ؟ كان الأحرى بشوبنهور أن يجعل الارادة مبدأ محايدا ، فلا هى الى الخير ولا هى الى الشر ، ما دام قد جعل الحرية جوهرها ، بل انه يصف هذه الحرية بكلمة جاكوب بوهمه Jacob Bohme المتصوف الألمانى فيقول عنها انها Urgrund أى بلا أساس .

وليس بين يدى النص الألمانى حتى أراجعه مع فؤاد كامل عند مطالعتى للعالم كارادة (الجزء الأول) فى الصفحتين (١١١) ، (٢٨٦) اللتين ذكرهما فى الحالتين . ولكن ترجمته بلا أساس للمصطلح الأول صحيحة لا شك فى ذلك عند وصفه للارادة عند شوبنهور . أما فى الحالة الثانية فالكلام متعلق بوصف الحرية . وكلمة Urgrund التى وصف بها الحرية معناها على العكس مما ذكره فؤاد كامل الأساس الأول الخلاق المبدع . لذلك أنا أعتقد أن ثمة خطأ خارجا على ارادة المؤلف وأنه يرجع فى الغالب الى التقاط متعجل للكلمات فى الموقفين . كذلك ترجمته بالمولد لكلمة génétigue والصحيح التناسلى .

وهناك شىء آخر أود أن احذر منه فؤاد كامل وهو أنه قد بدأ يخضع أكثر مما ينبغى فى نظراته لآثار حبه وقراءاته لبرديائيف . ولم يستطع فؤاد كامل ان يتخلى عن كثير من هذه الآثار عند معالجته لنظريات شوبنهور . ولكن هذا السبب نفسه هو الذى جعلنا نستمتع بالصفحات الأخيرة من الكتاب التى صار فؤاد كامل يعدد فيها الملامح التقديرية التى يراها فى فلسفة شوبنهور بالنسبة الى الموقف الفلسفى المعاصر . انتى اهنىء فؤاد كامل وأتمنى أن يخرج لنا نتاجا جديدا على هذا النمط وبهذا الأسلوب الحى الرصين .

عبد الفتاح الديدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة حول حجرتى

تأليف : جزافييه دوميستر
ترجمة : احمد أبو الخضر منسى
مراجعة : الدكتور يحيى الخشاب

الناشر : دار الفكر العربى بالاشتراك مع مشروع الألف كتاب
١٦٨ ص ١٤×٢٠
الثمن ٩ قروش

وددت أن أقوم بهذه الرحلة مع المؤلف لأسجل عليه كل خطواته ولفتاته ، بل كل زفرة تنهدها عند كل اكتشاف توصل اليـه فى رحلته تلك الفريدة .. لكننى أفقت الى نفسى بعـد لحظة اعجاب بهذا العنوان « رحلة حول حجرتى » .. ذلك لأننى عندما وقع ناظرى على اسم المؤلف الكونت جزافييه دوميستر .. طابت نفسى واطمأنت .. اذ أنه لن يدخر وسعه فى رصد دقائقها بين طيات هذا الكتاب ، ومؤلف الرحلة هذه كاتب نابه ، متمكن من قلمه فتميز بأسلوب رقيق ، وألم بأصول الكتابة فى مثل هـذه الموضوعات فابعدها عن عوامل الملل ، وللمؤلف غير هـذه الرحلة كتابان هما « أبرص مدينة أوست » و « السيبيرية الشابة » (١) .. نرجو أن يحتضنهما مترجم دءوب مثل الأستاذ احمد أبو الخضر مترجم هـذه الرحلة .. ذلك لأنهما يتسمان بالعمق والروحانيـة فى عصر كانت القيم فيه قد تبدلت معـاييرها ومفاهيمها أيام الثورة الفرنسية .. فآثر جزافييه العزلة ليدبج فيهـا خلجات نفسه وانطباعاته .

ورحلتنـا التى نحن بصـددها تتمثل فى الأحـداث التى عاشها المؤلف ، وأخـذ يصب انفعالاته بها وأحاسيسـه نحوها فى مذكراته من داخل حجـرته ، أو بالأصح من داخـل عقـله ومشاعره ، فاستغل طوال رحلتـه ضمير المتكلم زيادة فى الحبكة وقوة فى الايحـاء الذى يقتضيه هذا النوع من الأدب ، ثم استخدم طبيعة المكان الضيق فى تركيز المعانى التى يقصدها من الأحداث فى غير ما اسراف أو املال .

بدأ المؤلف رحلته بوصف دقيق لأبعاد حجرته وما تحتويه من لوحات زيتيـة ، ومن سرير ذى لون وردى هادىء تشع عليـه الشمس بنورها فى الصباح اشراقة وضاءة .. فتسلمه لتخيلات وذكريات ، منها المبهج ومنها المقبض .. فيلتفت الى نفسه كانسان ، يراه قد اشتمل على شقين ــ نفس وبهيمة ــ تلاحما وتداخلا بحيث تركب النفس بهيمتهـا فى تفوق محبوب حتى يمكن التمييز بينهما . وهنا يفصح المؤلف عن مفهومه الخلقى فيقول بضرورة معرفـة الانسان كيف يربى هذه البهيمة كى يمكنها أن تتصرف لنفسها بنفسـها للخير ، بينما تكون النفس قد استطاعت أن تتحرر من ربقة الاقتران بهـذه البهيمة فتنطلق محلقة فى السماء .

لكن المؤلف ما يلبث أن يشعر بأن رحلة بهذه البداية كفيلة بأن توقف القارىء عن مواصلتها .. فيعتذر لنـا مستدركا ، ويعرج بنا على لوحة زيتية تصور الطبيعة فى عظمتها وبهجتها مما أثار فى نفسـه أياما خوالى وشجنا .. لكننا لا نلبث أن نفيق على شىء هام .. هو أن هذه الصورة التى وصف دقائقهـا تؤكد مفهومه الذى أفصح لنا عنـه عن تكوين الانسان بشقيه ، ويأخذ فى محاولة تخليص النفس أو تحريرها من ربقـة بهيمتها هذه .. فيشطح بهـا أو بنا على حد سواء ــ على شريطة أن نحلق معـه فى السماء بنفوسـنا فقط ــ بينما تواصل بهيمته القيام بعمل آلى خالص .. ألا وهو اعـداد الطعام للافطار .. لكننا ــ واحسرتاه ــ نتأوه معه لما

(١) "Le Lepreux de la cité d'Aoste", "Le Jeune Siberienne."

من جمرة نار تحرق أصابع هـــذه البهيمة .. فتعيد النفس وتعيدنا معها اليها دون ان نستطيع خلاصــا أو فكاكا ، فينتقل بنا الى لوحة أخرى لمدام دوهو كاستل حبيبته فى صباه ، ويرجونا ان نشاركه فى ازاحة الغبار عنها ليلقى نظرة عليها ويناجيها مناجاة روحانيــة « تعالى أضمك الى صدرى يا روح فؤادى ويا شطر وجودى .. » ويواصل ذكرياته معها عندما كانا يصعدان تل مدينة تورين .. فنعيش معه فى اندماج لا ارادى حتى يتسلل هو منســحبا الى واقع حجرته لنفيق على صــوت خادمه المخلص جوانيتى ، ويأخذ فى اطراء خــلاله وتصرفاته الهادئة التى كانت وســيلة لكشف طبيعــة حبيبته هذه ، وما اقترفته نحوه من اهمال وخيانة لحبه .. وهنا نجد ان بهيمته تتغلب على النفس فتجعله يحس بان الصورة لا تأثير لهــا عليه لأنها مجرد سطح مستو ذى الوان .. ثم ينقل لنا مواقف انسانية مع خادمه تارة ومع كلبته روزين تارة أخرى ليبين لنا مدى الأصالة والاخلاص الكامنين فى الحيوان عن دوهو كاستل التى خانته .. لكنه لا يحب أن ينســاها بل لا يرضى أن يكرهها .. لا رأفة بهــا وانما لأن قلبه عامر بالحب .. حب كل النســاء وكل ما فى الطبيعة من جمــال حتى ولو ذاق منها الأمرين ، وبينما هو فى فورة حبه العارم يلمح لوحة بارزة فى جانب آخر من حجرته على نقيض طبــاعه تماما .. اذ انها تمثل رجلا يدعى البير يقف فى جمود وتعــال كمن قد قلبه من حجر بينما شارلوت تهتم بحبه متدلهة فتركع عند قدميه مستعطفة .. وهكذا تزدحم الطبيعة بالمتناقضات والحظوظ المتباينــة التى تذكره بصــديق له حميم مات من زمن على فراشــه بالقرب من مكان هــذه الصورة .. فيحدثنا المؤلف قائلا .. « وما كانت الطبيعــة لتكترث بحظوظ النــاس ... كل شىء فى دار الموتى يحتسى كؤوس الفرح والحياة الدافقة : اذ يضرب الليل بارواقه واذ القمر باهــر الأنوار ، واذ أنا بأكناف التأمل لائذ ، قرب تلك البقعة الموحشة ، أسمع الصرصور يشدو واثبا طروبا بغنائه لا يسأم منــه ولا يرتد دونه حسيرا ، وقد خنس تحت بساط من العشب فوق قبر صاحبى الذى جلله الصمت والسكون » .

ويمضى بنا فى وصف صور عديدة فى حجرته تثير لديه ما اندفن من ذكريات حتى يتــذكر نقاشه مع مدام دوهو كاستل حول افضلية الفن التشكيلى على فن الموسيقى .. وما كان لكل منهما من مبررات لوجهتى نظريهما .. لكنه يحسم أمر هـــذا الخلاف بشخوصه امام المرآة مؤملا اختراع مــرآة لابراز حقيقــة النفوس .. ممــا يجعلنــــا نحس بأنه ذو مذهب تأثيرى فى فن الرسم .. ذلك لأن المرآة بطبيعتها تشف صورة كل من ينظر فيها ، ولابد أن يرضى عن نفسه من خلالها .. فما بالك لو كانت مرآة تســبر الغور وتكشف ستر النفوس .. راضية كانت أم غير راضية .. لابد أن تنطبع على الناظر لهــا آثار ناتجــة عن حــكمه على نفسه وما برز له من دخيلتهــا .. وتسوقه هــذه المعانى الى الــكلام ثانية عن الانسان وعن شقيه المكونين له .. ولكن فى صــورة حــوار نابه مثــير ينتهى بتناول الطعام كرمز لاشباع البهيمة الانسانية ، ومع ذلك نحس أن هذا المؤلف الرحالة يستكثر انتصار هذا الشق البهيمى .. فيطوف بنــا فى أعماق تمثال أبيه الرابض على مكتبه ، ويتساءل متحديا أمهر المثالين أن يبدعوا تمثــالا لأبيه يبرز من سماته كريم شمائله وطيب نفسه ، ثم يستطيع اقناعنا بأن نحزن معه عليه لأنه لم يعد بمستطيع زيارة قبره فى الوطن الذى طردته منــه الثورة الفرنسية .. ولا ينسى المؤلف هنا أن يلمز هؤلاء الثوار الذين طردوه من وطنه .. فيتخيل بين أوراق مكتبــه اشــباحا لأبقراط وأفلاطون وبيريكلس واســبازيا زوجــة بيريكلس الزعيم والخطيب اليونانى المشــهور .. فيتحدثون عن الطب أولا ، ويبدو من سير المحاورة نزعة المؤلف التشــاؤمية فى موقفه من العلم الذى يقول عنه « الا ان أسرار الطبيعــة لفى حجاب عن الموتى والأحياء كافة ، ان الذى خلق الخلق ودبر الأشياء هو وحده العليم بالسر الأعظم الذى كد الناس ليعرفوه » . ثم لا يفتأ يحدث الأرض التى أقام فيها منفيا .. فيستطيبها ويعلن أنه حر طليق فى هذا المكان بعيد عن وطنه الذى أبعدوه عنه .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.co

ويعود فى رحلته الثانية الى حجرته المحطمة فى تورين من جـــراء مدافع الغزاة الفرنسيين ، ويستاجر حجرة جديدة فى الطابق الخامس .. يحس فيها بعزلة حبيبة الى نفسه بعد أن تركه خادمه المخلص ليتزوج ، وبعد ان أودع كلبتـه العجوز لدى راهبة للعناية بها .. فيحدث عزلته مستطيبا « يا عزلتى ما احــلاك ! لقــد عرفت محاسنك التى تسكرين بها عشاقك . الا بؤسى لذاك الذى لا يستطيع الانفراد بنفسه يوما فى حيـاته دون ان يدهى بكرب الضجر ، ومن هو أحب اليه أن يحادث الحمقى على ان يتحدث الى نفسه ! » .

ويبدأ رحلته هذه المرة بشيء من الطرافة .. اذ يتخيل نافذة حجرته ظهر الحصان الخشبى المعروف فى الف ليلة وليلة ويركب نافذته على هذا الأساس .. مدليا قدمه اليمنى فى الطريق ، واليسرى فى حجرته .. ويشخص بناظريه نحو السماء محلقا بين النجوم ليصطحبنا معه فى رحلة الليل ، ثم يرفع عقيرته بأشعار للشاعر أوسيان شاحذا بها قريحته فى تسجيل خواطره عن رحلته فتصطدم رأســـه الســـاخنة بأعلى النافذة .. ويتوقف عن الرحـــلة قليـــلا ليستعيد قواه وانفاسه .. لكنه يفاجأ بزوج جارته يصعد اليه لائما له احداثه ضوضاء تقلق زوجته المتعبة .. فتبتئس نفسه لهذا اللوم أو التقريع غير المنتظر ، ويزداد فى عزلته انكماشـــا ويأسا من الخير بين الشر .. وهنا يسوق لنا صورة ادبية رائعة يبغى منها هذا المعنى فى نفوسنا .. اذ يذكر انه قد عثر فى درج مكتبه على لعبة لحمامة بيضاء كان قد ابتكرها صنعا ، وكان يقصد منها أن تطير فى الفضاء لتنافس صويحباتها الحقيقيات ، فزودها بنوابض تدفعها الى الانطلاق ، وعندما بدأ فى اجراء تجربته ، كانت اللعبة قد انطلقت فى فضاء الحجرة لتسقط أمام كلبته الســابقة روزين ، وكانت تتلهف شوقا الى مثل هذا النوع من الأكل .. لكنها لم تحرك ساكنا ، وأشاحت بوجهها انفة من هذا الهراء .. ثم نلحظ انه وهو يحكى هذه الذكرى الصغيرة يرفع برأسه الى السماء المظلمة فيرى سربا من طيور الكراكى يحلق طليقا فى هذا الفضاء العلوى ، ولا يلبث أن ينتشلنا من الابتئاس الذى شـاركناه اياه .. فينزلنا من عليائنا بين طيور الكراكى .. لنسمع معه صوتا عذبا يشدو بأنشودة حبيبة الى نفسه ـ وهنا نلحظ انه لم يعد ملتزما بمذهبه أو بمفهومه عن الانسان وعن شقيه المكونين له ، بل صار يستعين بكل منهما فى تناوب أحيانا وفى تلازم أحيانا أخرى ـ فنراه بعـد أن ننزل معه من السماء الى هذه الصورة الحالة فوق الأرض أقرب الى تحطيمها منه الى اكمالها .. فيعلمنا بانه أخذ يبحث عن مصدر هذا الصوت المنساب فى عذوبة ، ووجده منبعثا من شرفة جارته المريضة فى الطابق أسفله ، فاذا ما سألتنى أيها القارىء وكيف عرفنا منه ذلك ؛ أحيلك آســـفا على قصص بوكاشيو فى مكائد النســـاء .. لتتصور معى كيف غامر صاحبنا بحياته متدليا فى فضاء الطريق حتى صار معلقا نصفه فى الهواء ليتمكن من رؤية صاحبة هـــذا الصوت ، بل اخذ يصفها من خلال موقفه ذاك الى ان نهرها زوجها وأمرها بالدخول واغلاق الشرفة ، ويبدو أن جزائيبه هنا احس بالفكاهة المسيطرة على موقفه الحرج ذاك .. فآثر هذا الجانب على العنصر الرومانسى الرقيق .. فاندفع فى اكمال هـــذه الفكاهة ولو على حساب الصورة الأدبية التى بدأها .. فأعلمنا بأن وطواطا وجد صاحبنا على هذه الحال .. فظنه مدخنة بارزة فى الطريق لم يلبث أن علق بهـــا .. فكانت صدمة عنيفة لأذنه وصدغه .. دفعته الى الصياح فزعا فى هذا السكون .. اننا قد نتقبل من الكاتب لجوءه الى هذه الوسيلة للتخفيف من حدة موقف أحاط به الاملال من كل جانب ، ولكن بشرط ان يكون هذا الموقف غير متعارض مع هـــذه الوسيلة .. فما بالك ان كان هـــذا الموقف فى ذاته جادا كل الجـدية لدرجة أننـا نقرأ خلاله مناجاته للنجوم ونقرأ له انه مغيظ حزين لعـــدم اهتمام الناس بالتطلع الى النجوم قدر تهالكهم على رؤية الملاهى والمسرحيات ، ويتمنى لو اســتطاع مهندس ان يقيم حاجزا يحجب هـــذه السماء بنجومها عن الناس ليعرفوا مبلغ قيمتها فيتهافتوا على حجز أماكن لرؤيتها منها ، بل يتمنى ان يضع هو نظاما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

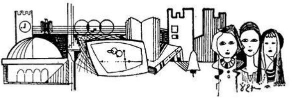
جديدا للكون والزمن .. ويشرع فى ذلك فعلا بانكار ما يسمى بالزمن – فما هو الا نتاج من عانوا ثقل الملل – لانه لا يدرك وانما يحس بالحواس فقط .. وعندما نهيىء أذهاننا لمناقشة هذا المفهوم .. نراه يهرب منا الى هذه النهاية المضحكة .. ألا وهى اعجاب الوطواط بهذا الجسم المدلى ... لكننى ماذا أستطيع أن اقوله ازاء رحلة كهذه .. لابد وأن نرى فيها الأعاجيب !! .

لكنه قرب آخر الرحلة يثير أمامنا مشكلة أخرى نعيشها جميعا .. الا وهى الصلة بين القلب والعقل او بين العاطفة والحكمة ، ويحاول أن يصل الى تفضيل واحدة على أخرى فلا يستطيع الا اقتراح اسناد تلك المهمة الى رجل !! رجل قطع رأسه وبتر قلبه فاصبح منهما خلوا ومن تاثيرهما متحررا .. وأنى له بهذا الرجل العادل على هذه الشاكلة .. ولهذا يركبه التشاؤم .. فينادى الناس ناصحا لهم بالتعقل لأنهم جميعا الى فناء .. ولا يلبث ان يلمح النجم القطبى فى السماء .. فيزمع الرحيل الى الشمال على هديه ، ويتساءل ما هى السعادة وما هو الخير ، ثم يثير مسألة هامة بالنسبة له ولنا .. وهى عوامل ارتباطه بوطنه والسر الكامن وراء محبته له .. لكن النجم يختفى أثناء أسئلته العديدة هذه .. كمن فقد الهداية .. فيلكز حصانه الخيالى بقدميه ليسرع به خلف النجم .. لكن حائط النافذة يدمى قدميه عندما لكزه بشدة وهو واهم .. فيفيق متألما على ارتباطه بحقيقة الأرض المحيِّرة .. وتنتهى رحلتنا معه الى هذا الحد .

وهنا نتساءل ونقول .. هل أفلح المؤلف فى اكتساب قراء اللغة العربية لمصاحبته فى هذه الرحلة ؟ أو بالأصح هل احتفظت الترجمة العربية بروح النص الأصلى واسلوب مؤلفه ؟ . اننى أستطيع القول بأن الترجمة قربت هذا اللون من الأدب الى الذوق العربى .. فى صياغة لغوية جزلة . يذكرنا بأسلوب اليازجى .. الا أن هذا الأسلوب ان كان يصلح لذوى الجباه العريضة ، فانه من الصعوبة بمكان أن يضم اليه من عداهم من القراء .. ومع ذلك فانه يشجع كل راغب فى استيعاب دقائق اللغة على الالمام بتفاصيلها ، الا أننا لو ربطنا بين هذا وبين مقتضيات التفاعل والاندماج بين القارىء وبين ما يقرأه من قصة او مسرحية أو .. رحلة .. للمسنا أن الاغراب فى اللفظ واضطرار القارىء للرجوع الى الهوامش والقواميس للكشف عن معناه يعوق تحقيق هذا الهدف المطلوب .. والترجمة مليئة بهذه الألفاظ مثل « لا يتكاءدنى ، هوشات الأسواق فى صفحة ١٣ ، تمشى الخيزلى ، مقعنسسا فى صفحة ٢٢ ، ما ترمرم فى صفحة ٣٥ ، كشقق الخز او سفائف الحماة فى صفحة ٧٧ ، البربط فى صفحة ٨١ ، متلفعا بمدرعة فى صفحة ٨٣ ، بيتا حريدا فى صفحة ٩٦ ، يحادث النوكى فى صفحة ٩٧ ، جرفتنى أواذيها فى صفحة ٩٨ ، طلب عيبتى فى صفحة ٩٩ ، فى بلهنيسة ورفاغة صفحة ١٠٨ ، حنادس ظلامها صفحة ١١١ وغير هذا كثير » .

الا اننا يمكننا ان نعتبر هذا الاغراب المؤدى الى عرقلة الارتباط الذهنى بسياق الرحلة .. يمكننا أن نعتبره رياضة ذهنية ، تريح الذهن من نوع من المتابعة ليبحث عن معنى جديد يعاود بعده هذه الرياضة ، كذلك نحس بأن الأستاذ المترجم اذا ما وجد حكمة أو بيتا من قصيد عربى يليق بموقف من مواقف الرحلة .. فلا ضرر من سوقه مع بقية الترجمة مثل « فينقاب اليك البصر خاسئا وهو حسير .. فى صفحة ٧٢ » ، « كأنها نائحة تفجع .. تبكى لشجو وسواها الموجع .. فى صفحة ١٣٤ » ومع ذلك فان الكتاب كمترجمة يعتبر جهدا أدبيا مشكورا نظرا لما هو معروف عن أسلوب جزاقييه من تعقيد غامض فى غالب الأحيان .. بسطه لنا المترجم فى رصانة ووضوح .. جعلاه فى متناول الناطقين بالضاد .

جمال بدران



تعريفات

قادة فتح العراق والجزيرة

تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب
القاهرة : دار القلم ١٩٦٤ – ٤٨٦ صفحة
٦٠ قرشا .

مؤلف هذا الكتاب ضابط عراقى كبير ، أتيح له منذ بعيد أن يتوفر على كتب التاريخ العربى ، وأن يلم بخوافيه من نواح عديدة . وقد دفعه الى هذا ما يجده من تقصير لدى أبناء هذا الجيل نحو الرواد الأول فى سجل نهضة العرب ، وفى تاريخ عظمة الاسلام .. يقول المؤلف « ان معرفة الماضى هى وحدها تطوع لنا تصوير المستقبل ، وتوحد جهودنا الى الغاية الجديرة بتراثنا العظيم ، فالماضى والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل الى انفصامها ، ومعرفة الماضى هى وسيلتنا لتشخيص الحاضر ومعرفة المستقبل .

« ان معرفة حقيقة تاريخنا ومعرفة سيرة (روح) هذا التاريخ وهم قادة الفتح وقادة الفكر هى مصل وقائى للعرب والمسلمين تصونهم من الانحراف فى مجرى التيارات الفكرية الدخيلة التى لا تنبع من صميم تربة وطننا ولا تمت بصلة الى تراثنا وعقائدنا كما أن المراجع القديمة يشوبها اضطراب والمراجع الحديثة اقتصرت على أشهر مشاهير القادة » .

وقد عالج المؤلف تاريخ الفتوحات فى العراق والجزيرة علاجا جديدا ، وهذا يبدو فى انه أرخ لحياة قادة هذه الفتوحات حسب تسلسلها فى منطقة جغرافية معينة ، ويبدو أن هذا ما سوف يفعله فى كتبه القادمة ، حتى يؤرخ لفتوحات العرب فى المشارق والمغارب كافة . الى جانب هذا فهو قد تحدث عن القائد فى حياته الخاصة وعن مكانه فى التاريخ حديثا لا يقل اهمية عن دوره الكبير فى الفتوحات .

وشىء آخر جديد اتى به المؤلف اذ أنه لم يقتصر فى كتابه على ذكر مشاهير القادة الذين لا يكاد يخلو من ذكرهم كتاب مثل سعد والمثنى وخالد ، وانما اهتم كذلك بالأبطال الذين لعبوا دورا كبيرا فى الفتوحات ، ولم ينالوا التقدير الكافى من جهة من ألفوا فى التاريخ الاسلامى .

ومع أن الغاية من الكتاب هى سرد لتاريخ اثنين وعشرين قائدا فى بلاد العراق والجزيرة الا أن المؤلف – تدفعه فى هذا عوامل عدة – اتجه الى أن يؤرخ أيضا لفتح أذربيجان واصبهان وكرمان وأرمينية والرها وغيرها من المدائن والبلدان التى تقع خارج المنطقة التى يبحثها . هذا الى أن النزعة الوطنية لدى المؤلف أدته الى أن يغمض الطرف عن بعض الهنات لنفر من الفاتحين العرب أمثال المغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة أو يعتذر عنها .

ولم ينس المؤلف أن يدعم كتابه بخرائط وصور وجداول زمنية توضح الصورة التى رسمها لنا عن هؤلاء القادة ، وأن يتحدث فى صدر الكتاب عن مقدمات الفتح وأحوال البلاد المفتوحة ، كما أعطانا فكرة طيبة عن حكمة الفتوحات المشهورة . الاسلام أو الجزية أو القتال ، ودافع عن وجهة نظر الغرب فى هذا دفاعا صادقا مرضيا .

ولا يسعنا أخيرا الا أن نردد مع المؤلف « ان قصة حياة هؤلاء الأبطال تبهر العقول والابصار فهل ستصمت الأصوات المنكرة التى عملت جاهدة لتهديم تاريخنا وتراثنا لتستورد تاريخا وتراثا من وراء الحدود أم على القلوب اقفالها !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معركة العلمين

بقلم : مايكل كارفر
ترجمة : محمد ابراهيم عبد العزيز
مراجعة : حسين الحوت
الدار القومية للطباعة والنشر . (من الشرق والغرب) ١٦٦ صفحة — قطع كبير — ١٥ قرشا

فى أكتوبر عام ١٩٤٢ بدأت معركة العلمين ، وكانت ايذانا بتحول المد فى صالح الحلفاء ، بعد ثلاث سنوات تلاحقت خلالها ضربات المحور الواحدة تلو الأخرى . وقد أتيح للمؤلف — وهو بريطانى — أن يلم بأحداث هذه الملحمة الكبرى ، فهو قد عاصرها ، ووقف على عديد من الوثائق الهامة التى لم تتوفر لغيره ، كما يبدو أنه كان على اتصال ببعض من أسهموا فى هذه المعركة .

وروميل من القواد الذين دخلوا التاريخ من أرحب أبوابه وأوسعها ، وهذا يبدو بوضوح فى الاستراتيجية المعهودة عنه والتى تنحصر فى سرعة الانقضاض وتوجيه الضربات ثم الانسحاب السريع وترقب الفرص . هذه الاستراتيجية التى من أجلها عرف « بثعلب الصحراء » .

ولكن هناك من الأسباب ما كان مقدمة للانتكاسة التى جرت فى أكتوبر سنة ١٩٤٢ ، فقد كانت الاتصالات بين الفيلق الأفريقى وبين الفوهرر مقطوعة أو شبه مقطوعة وطريق الامدادات عبر الصحراء طويل تكتنفه الصعوبات ، *والتآلف غير موجود بين الايطاليين والألمان* . ولربما كان من الممكن أن تتغلب عبقرية روميل على كل هذا لولا وجود قائد لدى الانجليز من طراز مونتجومرى .

وقيمة الكتاب الحقيقية تبدو فى انه من الكتب القليلة التى تناولت معركة العلمين ، اذ آن أغلب الكتب التى أرخت للحرب العالمية الثانية كانت تركز على غزو أيزنهاور لشمال أفريقية سنة ١٩٤٣ ، وعلى الزحف الكبير على نورماندى سنة ١٩٤٤ ، وفى اعتقاد المؤلف — وهو صادق فى هذا كل الصدق — ان نقطة التحول فى الحرب العالمية الثانية كانت فى ستالنجراد وفى العلمين .

وقيمة الكتاب تبدو أيضا فى اعتدال المؤلف وحيدته فى اصداره للأحكام ، فلم يكن التحيز لأبناء جلدته ظاهرا الى حد كبير . ويبدو أنه — ويشاركه فى ذلك كثير من الغربيين — يعطف على روميل القائد الألمانى الكبير ويكن له من التقدير ما لم يكن يعطى لقائد مهزوم ومعاد لبلاده .

وكنا نود لو أن المؤلف أشار اشارة متسعة الى تفكير الانجليز خلال أيام الحرب الكالحة فى اغراق الدلتا بقطع الجسور لما أيقنوا بفشل خططهم امام الهجوم الألمانى الكاسح . هذا الى أن المؤلف لم يشر الى الموقف الداخلى فى مصر واثره على الموقف الخارجى فى الميدان .

احمد زكى الملقّب شيخ العروبة

بقلم : أنور الجندى .
المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر .
٣٠١ صفحة ٥ قروش

اهتم الأستاذ المؤلف منذ بعيد بدراسة الحياة الأدبية المعاصرة ، وله فى ذلك كتب عديدة منها كتابه عن الزهاوى وكتابه عن زكى مبارك ثم هذا الكتاب .

واحمد زكى من *أبرز رواد النهضة العربية* الحديثة ، ولد يوم أن بدأت هذه النهضة ، وله دور كبير فيها وبخاصة فى احياء التراث العربى ، وفى مجالات التأليف والترجمة والتحقيق اللغوى والتاريخى ، وله مساجلات عدة مع علماء الاستشراق فى المؤتمرات التى واظب على حضورها ، كما أنه اسهم بدور فعال فى المعارك الأدبية مع خصومه وأصدقائه على السواء .

وساعده فى هذا مكتبته التى حوت من المؤلف والمطبوع آلاف الكتب وعرفت بالخزانة الزكية

على مثال الخزانة التيمورية ، وساعده أيضا ما طبع عليه من جد ومثابرة وجد على البحث وأبرز ما يبدو فى شخصية « شيخ العروبة » انه كان من أوائل المصريين الذين فطنوا الى حقيقة وضع مصر وموقعها من الأمة العربية وكان من المسهمين فى قضية فلسطين يوم أن لاحت فى أفق السياسة العربية ، ولعل هذا كان السبب فى اهتمامه العظيم باحياء التراث العربى . الى جانب انه كان ذا عقلية موسوعية جبارة ، حوت من صنوف المعرفة وفروعها الشىء الكثير . وساعد على هذا رحلاته التى بدات منذ أن كان فى الخامسة والعشرين طوف خلالها كثيرا من بلاد الشرق وأوربا عضوا فى الهيئات والمجامع العلمية المختلفة .

لقد اجتمع هذا كله عند أحمد زكى ، ومع هذا فانه كان من المفكرين الذين عاشوا على هامش السياسة ولكنه أسهم فيها بدور كبير ، فقد كان من فريق المعتدلين الذين لم يماشوا دعوة مصطفى كامل ، ولهذا كان أحمد زكى أميل الى القول بالاصلاح فى الداخل قبل تغيير الوضع السياسى .

والكتاب جيد لولا انه يؤخذ على المؤلف أمران . الأول : انه أخطأ فى تاريخ وفاة السيد جمال الدين الأفغانى ، فالحقيقة انه توفى سنة ١٨٩٧ وليس سنة ١٨٩٣ كما ورد فى الكتاب . هذا الى أنه يذكر فى أوائل كتابه أن محمد عبده ولطفى السيد وغيرهما من المصلحين كانوا يميلون الى جانب المعتمد البريطانى ولم يوضح لنا بالضبط كيف كان هذا ولماذا اتخذوا هذا الموقف ، حتى لا يلتبس الأمر عند القراء وخاصة متوسطى الثقافة وغير المتخصصين منهم .

المشاعل

تقديم : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد
نظم : كامل أمين
القاهرة : عالم الكتب ١٩٦٢

فى هدوء ودون أية جلبة ظهر ديوان المشاعل للأستاذ الشاعر كامل أمين ، وكثير من المثقفين وحملة الأقلام لا يعرفون شيئا عن صاحب الديوان . وللحقيقة والتاريخ فان المشاعل ديوان يجب ان يقرأ ، وأن يعاد تقويمه من جديد فى دنيا الأدب وبعد سنتين من صدوره .

والطابع السائد فى الديوان هو الحزن والألم ... والتشاؤم ، ويلوح هذا بوضوح فى ملحمته الشجية التى يخاطب الشاعر فيها روح ولده المتوفى :

ولدى : صباح الخير يا طفلى الصغير
يا قلب نور الفجر فتحه الندى بدم العبير
انى أتيت اليك يا ولدى بماضى الضرير
أتحسس الدنيا اليك على الشواهد والقبور
على اراك من التراب كما رأيتك فى الشعور
خذ ذلك الاكليل ياولدى من الخوص الكسير
فالخوص يكفينا اذا لم نمتلك ثمن الزهور

واسمعه أيضا حيث يقول :

عشت كالتائه لا أدرى لمن أحيا الحياة
النفسى أم لغيرى أم لسر لا أراه
كلما ضمدت جرحا من جراحى قلت آه
فالأسى كالجرح يبكى للمآسى والاساه

بيد ان هذه النزعة المخيمة على نفس الشاعر لا تستغرق كل أجزاء ديوانه فمن شعره الوطنى تحيته الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

اذا عددت الأيام ذقناك باسما
كأنك شهد ذاقه ثغرنا المر
وان أقفرت دنياك أقبلت ناضرا
كأنك فيها خير ما أورق العمر
وان كفر الانسان لاقاك مسلما
كأنك آيات بها يمحق الكفر
كأنك من أهل السماء على الثرى
تطيب بك الدنيا ويحيا بك البر

والأستاذ كامل أمين من الشعراء المجددين ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو فى هــــذا المجال عالج مشكلة القافية اذا ما طال المقام وتعددت المشاعر والأحاسيس ، فقد ساد نظام المقطوعات مكانا فسيحا فى ديوانه . وهو لم يتقيد بعــــدد معين من الأبيات فى كل مقطوعة يساوى عدد الأبيات فى المقطوعة الأخرى كما أنك تنتقل بين هــذه المقطوعات فى سهولة ويسر بديعين . وفى قصـــــيدته عن ولده يقول على لسان الطبيب :

اذهب به ولسوف يمتعــــه العلاج غدا بصحـه
اما وقد نصح الطبيب فاننى قـــدرت نصحه
وفهمت من هـــذى النصيحة انه يدرى بحالى
فالطفل تنهشـــــه المواجع والــدواء اليوم غالى

غير أنه يؤاخذ على الشاعر ان قصائد ديوانه غير مرتبة حسب الموضوع أو الزمن أو القافية . كما أن شـــعره احتوى بعض الكلمات المبتذلة البعيدة عن الذوق العربى · مثل دكتور وبترول ومصحة وفنجان · وتوجد أيضا بعض الأسماء التاريخيـــة التى تحتاج الى شرح مثل يوشع وقادش وحطين وســـــدوم · وبالديوان أغلاط تاريخية مثل :

حيــوا وزارات الأنابيب التى
تنساب من حيفــا بدم الموصل

فلا توجـــد انابيب زيت تربط بين الموصــل وحيفـــا ، حيث أن المدينــــة الأخيـرة تقع فى فلسطين المحتلة منذ أكثر من خمسة عشر عاما .

والديوان به بعض الأبيات السقيمة الضعيفة فى البناء والتركيب :

يقولون عهد الشعر فى اللوعة انقضى
وأصبح شعر اليوم فى الحرب والقتل

أجـل كله شـــعر ولـكن من بكى
على الحب لا يبكى على الثوب والأكل

ومن أبيات الديوان ما هو مقتبس من الشعراء القدامى :

كلانا غريب أيهــا النخل فى الربى
تغربت لــكنى تغربت فى اهــلى

نجد هنـــا روح صقر قريش عبد الرحمن ابن معاوية الداخل وهو يتناول نفس الموضوع :

يا نخل انت فريدة مثــلى
فى الأرض نائيــة عن الأهل

او يقول :

تبدت لنــا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض العزب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى
وطول التنائى عن بنى وعن اهلى
نشأت بأرض انت فيــها غريبــة
فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى

جملة القــول ان الديوان عمل فنى طيب ، يحتاج الى اعادة تقويم وعدالة تقدير . وقد كان أجدر بالشاعر أن يجدد فى موضوعاته ، لا ان يقتصر على الأبواب التى طرقها من قبل عــــديد من الشعراء ، فانه لو فعل هـــذا لبلغ مدى بعيدا من الاجادة والبراعة ، قلما يرتفع اليهـــا غيره من أهل الشعر أو منثور الشعر .

انتصار مصطفى رشيد

تأليف : الدكتور عبد العزيز رفاعى .
المؤسسة المصرية العـامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ المكتبة الثقافيـــة ـ ١٢٤ صفحة ـ ٢ قرشان .

كانت مطالع القرن التاسع عشر بداية النهضة الحديثة فى تاريخ مصر ، ففى تلك الآونة استطاعت مصر أن تنفض عن كاهلهـــا غبـار تركة مثقلة بالجهــالة والتأخر والركود ، ورثتهــا عن تلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القرون التعسة التى عاشتها فى ظل الخلافة العثمانية .

وقد قدر للحملة الفرنسية التى أتت عام ١٧٩٨ أن تكون فاتحة خير الى جانب ما سببته للمصريين من اذى وعذاب ، بيد أنها كانت تطوى فى ثناياها بداية التكالب الاستعمارى على الشرق ، ونبهت اذهان الانجليز الى حقيقة الدور الممكن أن تقوم به مصر فى الاستراتيجية الدولية وفى الحروب النابليونية . ومن هنا بدأ التفكير فى حملة فريزر سنة ١٨٠٧ .

لم تكن هذه أول مرة يأتى فيها الانجليز الى مصر ، وانما سبق لهم أن أتوا ليخرجوا الفرنسيين منها ومكثوا بها حتى سنة ١٨٠٣ ، ولكن الجديد فى حملة فريزر أن تركيا كانت قد انحازت الى جانب فرنسا رغم الدرس القاسى الذى عانته فى سنة ١٧٩٨ ، فاتجهت نية الانجليز الى الرد على التحالف الجديد على أن يكون هذا الرد فى مصر .

استطاع الانجليز أن يدخلوا الاسكندرية وذلك بفضل خيانة حاكمها التركى والرشوة التى نالها من فريزر ، وكانوا يتصورون أنه من الممكن أن يحرزوا هذه الانتصارات السريعة التى أحرزها من قبل نابليون فى سنة ١٧٩٨ . ولكن الفرق كبير بين فريزر ونابليون ، كما أن الفرق كبير أيضا بين الشعب المصرى فى سنة ١٧٩٨ ونفس هذا الشعب فى سنة ١٨٠٧ ، لأن الأحداث التى توالت منذ الفترة الأخيرة من حكم المماليك والحملة الفرنسية وما أتى بعدها من صراع بين الأتراك والمماليك ثم الألبان والأحداث التى مهدت لتولى محمد على باشوية مصر . كل هذا شارك فيه الشعب مشاركة فعالة ، هيأت له الكثير من الحنكة السياسية والمهارة الحربية والمتانة فى وعيه القومى والحرص على حقوقه أكثر من أى وقت مضى .

وفى رشيد تجلت عبقرية هذا الشعب ، واستطاع أن يلقن هؤلاء الذين دوخوا نابليون فى أوربا وفى جبهات أخرى من العالم ، استطاع أن يلقنهم درسا وعوه وحفظوه مدى سبعين عاما وقبل أن تأتى نكبة سنة ١٨٨٢ .

وكانت لهذا النصر نتائجه الباهرة ، وكانت له أيضا نتائجه الحزينة ، فقد خرج الانجليز ولكن محمد على لا يزال يتربص ، فقد راعه ما رآه من بسالة هذا الشعب ودوره البطولى الجبار فى صد العدوان ، وخشى منه على نفسه . ومن هنا حدثت الانتكاسة الأولى وهى بتر الزعامة الشعبية ممثلة فى السيد عمر مكرم ، وهذا ما عبر عنه المؤلف بقوله « وجد هذا الباشا الطموح المستبد ، أن المقاومة الشعبية بعد الجلاء قد استنفدت أغراضها بعد أن رفعته الى دست الحكم وحمته من الدسائس فى الخارج والداخل ، ووقفت تحميه فى حمايتها للبلاد من شرور الحملة الانجليزية وساندته ضد المماليك ، فارتد بكافة الوسائل لاخمادها ، ونقل قيادة الأمور فى مصر الى يديه وحده .

« وبدأ محمد على يسفر عن طبيعته ، بعد الجلاء فى وضوح لبلوغ أهدافه بوسائل القهر والتهديد والتشريد ، واشاعة الرعب ، ليحل ذلك محل تلك البذور الأولى التى رسبت فى مجرى الوعى القومى المشرق » .

بيد أن هذه الروح القومية العظيمة قدر لها أن تعبر عن نفسها أصدق تعبير فى عهد حفيد هذا الباشا وفى السبعينات من نفس هذا القرن مما كان ممهدا للحركة العرابية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كامل كيلانى الرائد العربى لأدب الأطفال

بقلم : عبد الغنى البدوى .
القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر
١٩٦٤ — ١٢٤ صفحة .

أدب الأطفال ضرب من ضروب الأدب ولون من الوانه عرفه الغربيون منذ بعيد ولا يخفى أثره فى تربية النشء وغرس الأخلاق القويمة فيهم . وليس أدل على هذا من تنويه روسو وهو أحد فلاسفة الثورة الفرنسية بروبنسون كروزو رواية دانييل ديفو الخالدة . وقد كانت توجد فى الأدب العربى بذور طيبة تصلح لنمو هذا الفن وأن تكون أساسا وطيداً له . ويظهر هذا بوضوح فى رواية حى بن يقظان لابن طفيل وفى بعض حكايات ألف ليلة وليلة . ولكن عصور التدهور التى مرت بها الأمة العربية فيما بعد حالت وهذا التطور .

ومن هنا يأتى تقدير الجهد الذى قام به المرحوم الأستاذ كامل كيلانى فى نهضة هذا اللون من ألوان الأدب ... والتربية . ولا يوجد أديب شاب لم يتتلمذ على كتب الكيلانى أو يحظى بطرف منها . فالرجل قد وعى كثيراً من الكتب التى تعد من تراث الانسانية ثم صاغها من جديد فى عبارة سهلة ميسرة وفى أسلوب رائق جميل يتناسب مع الأطفال على اختلاف أهوائهم ومشاربهم وفتح الباب من بعده لجيل جديد من ناشئة الأدباء يترسمون خطاه ويسيرون فى طريقه .

والكتاب الذى تناول سيرة أستاذ أدب الأطفال لم يتناول الا جانبا يسيرا من هذا الأدب ودور الفقيد فيه . وقد كنا نحسب أن الأستاذ المؤلف سوف يبرز لنا أهمية هذا الدور كما يجب أن تكون . وحتى نضع المرحوم كامل كيلانى فى المكان اللائق به ولكنه بدلا من هذا جعل لرحلات الفقيد وحياة ابن طفيل صاحب كتاب حى بن يقظان مكانا أوسع مما يجب كما أتى بنصوص عديدة نقلها كما هى دون أن تكون لها أهمية بالنسبة لموضوع البحث .

والكتاب يمتاز بأنه الأول فى موضوعه وقد ابرز لنا جانبا من حياة الأستاذ كامل كيلانى وادبه لم يكن يعرفه كثيرون فهو شاعر وان لم يكن له ديوان مطبوع وقد توفر على عيون الأدب العربى شعره ونثره بالشرح والتحقيق وكان له بعض الفضل فى اعادة تقويم نفر من أدبائنا القدامى مثل أبى العلاء وابن الرومى وابن زيدون وغيرهم .

أمى مختارات ورسائل وأمنيات

١٩٦٤ — ١٧١ صفحة .
القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر

الأم معنى جميل من معانى الحب والاخلاص . والتضحية . وفى هذا الكتاب الذى دبجته السيدة الفاضلة زينات الجداوى شرح جميل لمعنى جميل ضمنته تصاوير عديدة ومشاعر مخلصة من هذا الحب الخالد والحنان الذى لا يفنى بتباعد الأيام والعصور . فهى تشرح لنا كيف بدات فكرة عيد الأم مع فكرة نيرة من افكار الأستاذ على امين وكيف أن جذر هذه الكلمة الطيبة والأصل فيها واحد على كل لسان فى كل زمان .

والسيدة صاحبة الكتاب لم تقتصر على هذا فهى قد اتت بنخبة من احسن ما كتب نفر من قادة الرأى فى الفكر والسياسة والأدب فى الشرق والغرب نجلهم جميعا ونعرف لهم فضلهم وسبقهم فجعلت للامتاع الأدبى مكانا فسيحا فى كتابها البديع . وكان من جملة ما ورد عدة ابيات للمرحوم الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد يقول فيها :

حسبت الأمومة أخت الدوا
م وخادعت ظنى عليها دواما
وافحمنى فيك خطب النعي
ى وفى غيره ما شكوت الفحاما
تعجب قوم لشيخ بكى
أكان المشيب لدمعى فطاما
وأم لما دون عشر تعز
ز فراقا فكيف لسبعين عاما .